البابا شنوده الثالث

عاطف وجيه
Atef wagih

تأملات في
خميس العهد

لونذي

البابا شنوده الثالث



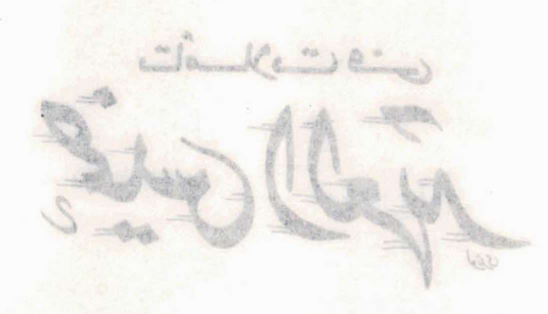
Contemplations On

The Good Thursday

by H.H. Pope Shenouda III

3rd Reprint
April 1993
Cairo

الطبعة الثالثة
أبريل ١٩٩٣م
القاهرة



الكتاب : خميس العهد .

المؤلف : قداسة البابا شنوده الثالث .

المطبعة : الأبنا رو يس (الأوفست) بالعباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٨٦٦/ ١٩٨٢م .



البابا شنودة الثالث



مقدمـــه

يوم خميس العهد من الأيام الهامة جداً فى الكنيسة .

وأهم أحداث هذا اليوم العظيم ثلاثة أمور .

١ ـ غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه ...

وتحتفل الكنيسة بهذا الحدث الهام ، بصلاة اللقان . ثم يغسل رئيس الكهنة ، أو الكاهن الخديم ، أرجل الشعب .

٢ ـ تأسيس السيد المسيح لسر الإفخارستيا :

وتحتفل الكنيسة به ، بأن تقيم القداس الإلهى لأول مرة خلال البصخة . و يتناول غالبية الشعب عادة ، مستعدين لذلك بالتوبة والإعتراف .

٣ ـ إهتمام الرب بتلاميذه ، وخطابه الوداعى لهم ، وصلاته لأجلهم .

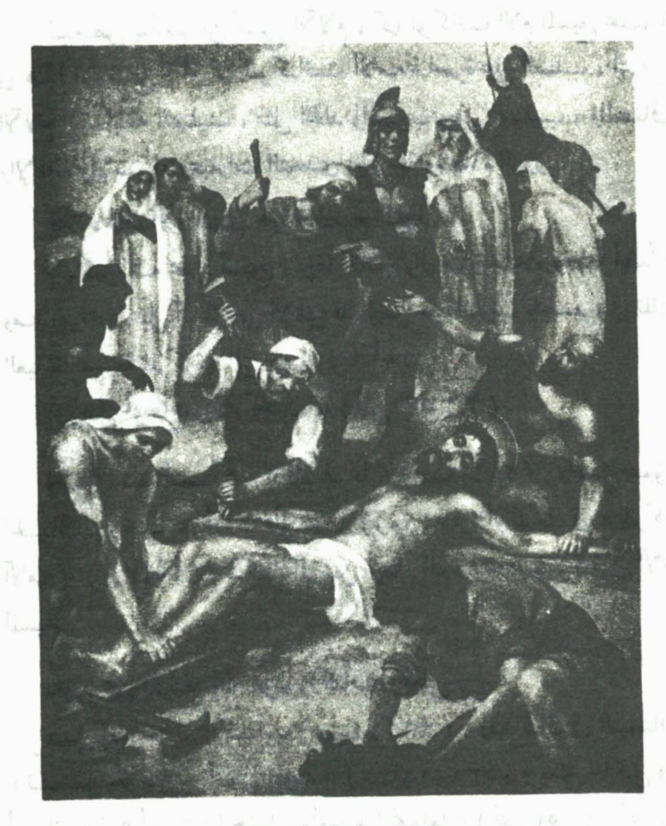
وفى هذا الكتيب نقدم لك عظات عن هذه الموضوعات الثلاثة ألقيت فى الكاتدرائية الكبرى خلال السنوات من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩ .

ونرجو فى المستقبل ، إن أحيانا الرب وعشنا ، أن نجمع لك فى مجلد كبير كل ما ألقيناه من عظات فى أسبوع الآلام ، راجين لكم بصخة مقدسة ،،،

شنوده الثالث

فهرست

صفحة



تأمل فى آلام المسيح

البعض يتكلم عن أسبوع الآلام ، كما لو كانت آلام المسيح محصورة فى هذا الأسبوع ! أو كما لو كانت آلامه قاصرة على الصلب ، أو على الآلام السابقة للصليب ، مثل الجلد والضرب وحمل الصليب ، والبصاق والإهانة والإستهزاء وعبارات التحدى الجارحة وشهادة الزور...

كلا ، فإن الألم شمل حياة المسيح كلها .

لم يكن ألمه مجرد أسبوع ، وإنما كان طوال فترة خدمته وقبلها أيضاً ، ومنذ ميلاده . بل أن الوحى الإلهى قد لخص حياة الرب بالجسد ، فى تلك العبارة العميقة المركزة ، التى وصفه فيها بأنه :

« رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

وقيل عنه أيضاً أنه « تألم مجرباً » (عب ٢ : ١٨) . وأصبح عمق الحياة الروحية هو أن « نتألم معه » (رو ٨ : ١٧) أو ندخل فى « شركة آلامه » (فى ٣ : ١٠) . فكل ألم من أجل البر ، يعتبر شركة فى آلام المسيح .

وقيل عن المسيح إنه حزن واكتأب وبكى .

قيل إنه حزن واكتأب (مر ١٤ : ٣٣) . وقد قال فى البستان « نفسى حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٨) . و يكفى ما قيل فى أحزانه إن « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) أى أن كل أحزان البشرية وأوجاعها قد وضعت على كتفيه ، وصارت مشاعر فى قلبه ...

وقد ورد فى الإنجيل أكثر من مرة إنه بكى . لقد بكى على أورشليم (لو١٩ : ٤١) وهو يذكر ما سيصيبها من أعدائها ، و بكى عليها أيضاً لأنها لم تعرف زمان افتقادها .

وكذلك بكى عند قبر لعازر ، الذى قالت عنه اخته أنه قد أنتن لأن له أر بعة أيام (يو١١ : ٣٥، ٣٩) . بكى وهو يرى كيف أنه بالخطية دخل الموت إلى العالم ، وملك على الإنسان الذى خلق على صورة الله ... وأصبح ممكناً أن هذا الإنسان ينتن ... !

ذاق المسيح الألم ، حتى من يوم مولده .

ولد فى يوم من أشد أيام الشتاء برودة ، فى مكان رطب هو مزود بقر ، إذ لم يكن لأمه موضع فى البيت (لو٢ : ٧) .

و بذل هيرودس كل جهده وحيلته ليقتله ، حتى أنه قتل كل أطفال بيت لحم ، لعله يكون من بينهم ! واضطرت العذراء أن تهرب به إلى مصر . ثم عادت « بعد أن مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » (مت ٢ : ٢٠) . وقضى المسيح فترة صباه وشبابه مجهولاً ، فى بيت نجار فقير دعى أباً له ، فلم يعرف العالم عن هذه الفترة شيئاً .

وعاش المسيح فقيراً ، يتحمل الضيق لأجلنا .

لم يمش مطلقاً فى الطر يق الرحب ، بل عاش حياة كلها ألم ، سواء من جهة الجسد ، أو من جهة النفس .

لم يكن له بيت يسند فيه رأسه . ولم يكن له مال ، حتى عندما طُلبت منه الجز ية ، لم يكن له ما يعطيه .

جرب التعب ، وجرب أيضاً الجوع والعطش .

وكمثال لتعبه ، قيل إنه تعب من مشقة وطول الطريق ، وقد مشى مسافات طويلة لكى يخلص المرأة السامرية . وقال الكتاب فى ذلك « فإذ كان يسوع قد تعب هكذا من السفر، جلس على البئر. وكان نحو الساعة السادسة (فى الظهر تماماً) (يو٤ : ٦).

وكما جرب المسيح التعب ، جرب الجوع . وحينما نقول الجوع ، لا نقصد الجوع العادى ، كأن يتأخر إنسان ساعة عن موعد أكله ، فيقال إنه جاع ! كلا ، بل حينما قيل عن المسيح أنه جاع على الجبل ، كان المقصود آخر ما يمكن أن تحتمله الطاقة البشرية فى الإمتناع عن الأكل . لذلك حسناً قيل إنه « جاع أخيراً » (مت ٤ : ٢) أخيراً ، بعد صوم إستمر أربعين يوماً .

ولما قيل إنه عطش على الصليب ، كان المقصود به عطشاً لا يحتمل ، بعد أن تصفى تقريباً ما فى جسده من دم ومن ماء ...

أما عطشه وجوعه عند بئر السامرة ، فلم يقل الكتاب وقتذاك أنه شرب ماء . ومن جهة الطعام ، لم يأكل وقال « طعامى أن أفعل مشيئة الذى أرسلنى » (يو٤ : ٣٤) . ولم يقل الكتاب فى تلك المناسبة إنه جاع أو عطش . إنه جوع عادى ، وعطش عادى ، يعبر الكتاب عنهما ...

وفى خدمة المسيح ، جابه ألماً آخر ، هو ألم الرفض :

إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) كان نوراً للعالم ، وهذا النور أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تتركه » (يو١ : ٥) . إنه أمر مؤلم

حقاً ، أن النور جاء إلى العالم ، ولكن أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة (يو٣: ١٩) . وتحققت فى الرب نبوءة المزمور « رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول » (مز٣٧: ٢) .

عاش يعامل الناس بالحب ، ولا يجد حباً مقابل حبه .

لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة للناس . والعبارة التى قيلت عنه إنه لم يجد موضعاً يسند فيه رأسه (مت٨: ٢٠) ، كما نفهمها من الناحية المادية الحرفية ، نفهمها أيضاً من الناحية العاطفية كذلك . فقد عاش الرب وسط أشخاص جاحدين ، ناكرين للجميل ، ناكرين للحب .

ذهب مرة إلى بلدته بيت لحم ، فرفض أهلها أن يقبلوه .

لم يؤمنوا به ، بل قابلوه باستهزاء و باحتقار قائلين « أليس هذا هو إبن النجار ؟! من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟! فكانوا يُعثرون به » (مت١٣: ٥٤-٥٨) حتى قال لهم الرب : ليس نبى بلا كرامة إلاَّ فى وطنه وفى بيته ...

وذهب إلى أحد قرى السامرة ، فأغلقت أبوابها فى وجهه .

حتى غضب تلميذاه لهذا الأمر ، أما هو فاحتمل السامرة بحب كبير وصبر طويل إلى أن تمكن من دخولها فيما بعد والعمل على خلاصها . ولما رأى ثمار تعبه فى السامرة ، قال لتلاميذه : أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه (يو٤: ٣٨) . نعم إن العمل على خلاص النفس يحتاج إلى

تعب وإلى احتمال ...

أحياناً كان يرى أبواب القلوب مغلقة ، فيقف و يقرع ...

وقد يطول به الوقوف ، حتى يمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل (نش ٥ : ٢) . وهو لا يمل الانتظار ، ولا يخجل منه ...

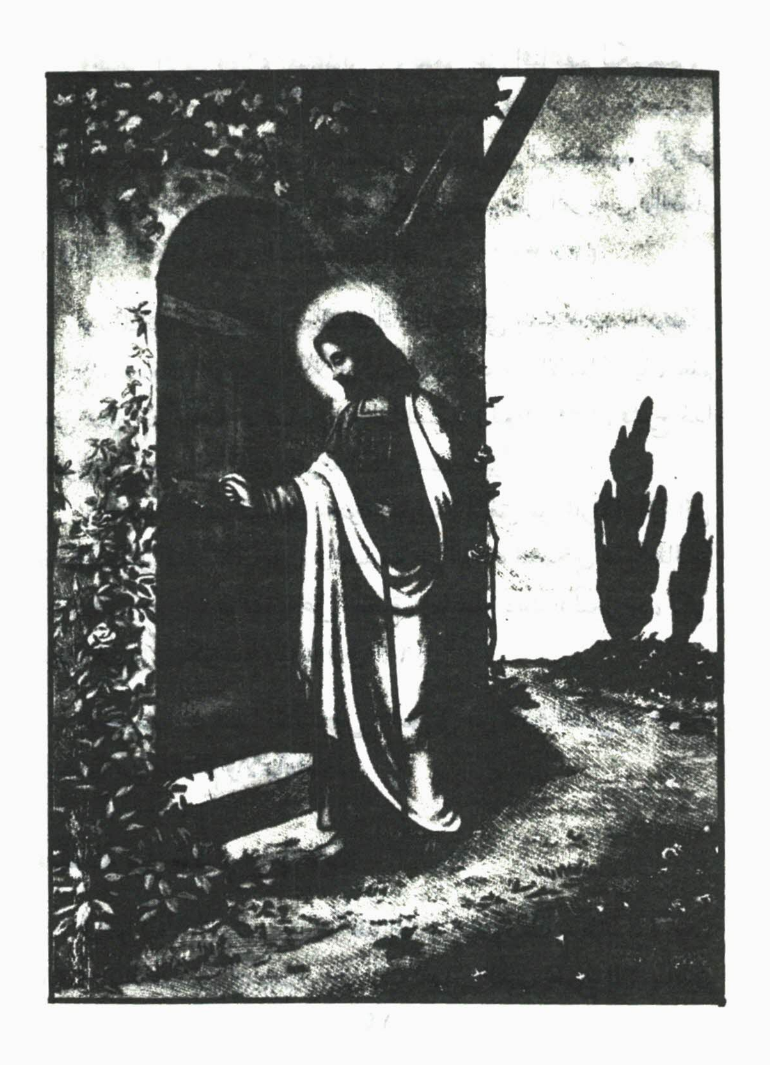
والرب بهذا يعطينا درساً أن كسب محبة الناس يحتاج منا إلى إحتمال وطول بال . فأحياناً تكون القلوب صلبة وشديدة ، ولا يمكن دخولها بسرعة ولا بسهولة ... فإن تعبت فى دخول قلوب الناس ، فلا تتضايق . هكذا حدث للمسيح منبع الحب . وإن دخلت قلباً ، ولم تجد فيه محبة مثل محبتك ، فلا تحزن . فهكذا حدث للمسيح قبلاً ، ولم يعامل الناس بمثل معاملتهم .

بل كان وسط الكل « يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) .

« يكرز ببشارة الملكوت ، و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (مت ٤ : ٢٣) مَن مِن الناس لم يأخذ من محبة المسيح ومن تعبه ؟! الكل أخذوا ... حتى الذين رفضوه ، حتى الذين صاحوا فيما بعد اصلبه اصلبه ...

كان يوزع محبته على الكل ، فيلاقى إنتقاداً من معلمى الشعب .

إن اشفق على عشار لكى يخلص نفسه ، انتقدوه قائلين « إنه دخل ليبيت عند رجل خاطىء » (لو١٩ : ٧) ، فيجيب المسيح : اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً إبن لإبراهيم .



ويحتمل الرب هؤلاء المنتقدين ، ويعمل على اقناعهم ليكسبهم .

كم من مرة فعل خيراً ، فانتقدوه على فعل الخير ، من زاوية معينة ، كما حدث فى الحب الذى بذله نحو العشارين ليخلصهم . أو نحو السامريين المرذولين منهم ... وأضطر أن يقول لهم مثل الفريسى والعشار (لو١٨: ٩-١٤) ومثل السامرى الصالح (لو١٠: ٣٠-٣٥) .

وبالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ، فانتقده سمعان الفريسى قائلاً فى قلبه « لو كان هذا الإنسان نبياً ، لعلم من هذه المرأة وما حالها ، إنها لخاطئة » (لو٧: ٣٩) . فشرح لهذا الفريسى كيف أن الذى يغفر له الكثير يحب كثيراً .

وبنفس القلب الشفوق الحنون الطيب ، أشفق على المرأة الزانية التى ضبطت فى ذات الفعل ، وأنقذها من القساه المشتكين عليها طالبين رجمها ، وهم يعرفون شفقته على الخطاة ، إنما فعلوا ذلك « ليجربوه ، لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه » (يو٨: ٦) .

عجيب أن هذا القدوس ، قوبل من قادة الدين فى عصره بسلسلة من الشتائم والاتهامات .

سلسلة من شتائم وإتهامات

قالوا له « أليس حسناً قلنا إنك سامرى وبك شيطان » (يو٨: ٤٨) . ياللعجب أن يقال عن رب المجد ، الذى يخرج الشياطين

و يطردهم ، إن به شيطاناً ! يقولون له « بك شيطان » ! و يظن المجدفون بهذا أنهم « حسناً قالوا » !

فلا تتعب يا أخى إن قيلت عنك كلمة رديئة ربما أقل من هذه . فالمسيح قد قيل عنه إنه سامرى و به شيطان . والعجيب أن الرب لما سمع هذه الاهانة ، رد بهدوء عجيب و بدون إنفعال .

ما هذا يارب ؟ قل أن ينزل نار من السماء وتفنيهم . هذا جنس لا تنفع معه الطيبة . أضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يجيب : ليس هذا هو اسلوبى . سأتركهم الآن فى حدتهم . و بعد حين سيعقلون و يتوبون ، و ينظرون إلى الذى طعنوه وجرحوه ، و يندمون .

ما أكثر ما أحتمل الرب من إنتقادات وإتهامات .

بل أن كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون أن يغطوا مجدها بشتائمهم وإنتقاداتهم وإتهاماتهم .

كان يخرج الشاطين من المصروعين ، فيقولون « ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مت ١٢ : ٢٤) كما لو كان الرب من جند الشيطان !

و يفتح عينى المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث لها مثيل من قبل . فبدلاً من أن يؤمن أولئك المعاندون به ، نراهم يقولون عنه « هذا الإنسان ليس من الله » . و يقابلون الأعمى الذى أبصر ، و يضغطون عليه قائلين « أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء ... » (يو٩ :

١٦-٢٤) . فلما دافع الأعمى الذى أبصر عن المسيح « شتموه قائلين أنت تلميذ ذاك » كما لو كانت التلمذة للمسيح تهمة وعاراً !!

ياللعجب ! يوصف الرب بأنه سامرى ، وبه شيطان ، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين . ويوصف بأنه خاطىء ، وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار... وماذا أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً إنه كاسر للسبت (يو٩ : ١٦) .

وقالوا إنه « أكول وشريب خمر » (لو٧ : ٢٤) .

وقالوا إنه « محب للعشارين والخطاة » (مت ١١ : ١٩) .

وماذا قالوا عنه أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً أنه « مجدف » و« يتكلم بتجاديف » ... ! (مت٩ : ٣) .

ورفعوا حجارة ليرجموه (يو٨ : ٥٩) محاولين رجمه أكثر من مرة (يو١٠ : ٣١) . وعللوا محاولتهم لرجمه بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف » (يو١٠ : ٣٣) . وعندما حكم عليه رئيس الكهنة بحكم الموت ، كان الحكم لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف ... ! مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً « قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد سمعتم تجديفه » (مت٢٦ : ٦٥) .

إنه مذهل حقاً ، أن رئيس الإيمان ومكمله ، المعلم الصالح المدخرة فيه كل كنوز العلم والمعرفة ، يدعى مجدفاً ، وهو « حكمة الله وقوة الله » (١ كو١ : ٢٤)...

واتهموه أيضاً بتهم سياسية . فقالوا إنه ضد قيصر ، وأنه « يهيج الشعب » وأنه « يفسد الأمة » (لو٢٣ : ٥، ٢) .

هؤلاء الذين أردوا المسيح ملكاً عليهم ، يخلصهم من حكم قيصر ، بل أرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً (يو٦ : ١٥) ، هؤلاء لما رفض المسيح هذا الملك الأرضى ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يو١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية فى قلوب الناس ، وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر !!

« وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلاً إنه مسيح ملك » (لو٢٣ : ٢) !! ياللعجب ، يلفقون هذه التهمة ، ولا يخجلون من عبارته المشهورة « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مر١٢ : ١٧) .

وإذا بهؤلاء الثائرين على قيصر ، الطالبين ملكاً يخلصهم منه ، يتمسحون الآن فى قيصر ، بصغر نفس ، و بالدس والوقيعة ، مقدمين المسيح كمتهم بهذه التهمة . وصمت المسيح لأنه « حمل خطايانا » ...

ولم يكتفوا بتهمة التجديف و بالتهمة السياسية ، بل أيضاً .

اتهموه بأنه مضل ، حتى بعد موته على الصليب لأجلهم ، ولأجل العالم كله . فذهبوا إلى بيلاطس ، وقالوا له « يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال بعد وهو حى ، إنى بعد ثلاثة أيام أقوم فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلاً و يسرقوه و يقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى » (مت ٢٧ :

٦٣، ٦٤) .

وهكذا وصفوه بأنه مضل، و بأن تلاميذه مثله، سيقودون الشعب إلى ضلالة أشر... !

هذا هو المسيح الذى « أُحصى مع الأثمة » ...

والذى قابل الموت « محتقراً ومخذولاً من الناس » (أش ٥٣ : ١٢) .

حقاً إن السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه، فتمت الكلمة المكتوبة فى ناموسهم « أبغضونى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) (يو ١٥ : ٢٥) .

هذا هو المسيح الذى قدموه كثائر، ثائر على المجتمع يريد أن يغير عوائده وتقاليده، وثائر على الدين يقول إنه سيهدم الهيكل و يبنيه فى ثلاثة أيام، وثائر أيضاً على قيصر، يمنع أن تدفع جزية له... هذا الوديع الذى لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته...

هذا هو المسيح، الذى أبغضه الكثيرين .

فقام ضده الكتبة والفريسيون والصدوقيون والناموسيون، والشيوخ والكهنة ورؤساء الشعب... وكانوا يحاولون فى كل مناسبة أن « يصطادوه بكلمة » (مت ٢٢ : ١٥) (مر ١٢ : ١٣) .

وهكذا تعرض كل يوم للمقاومين والمعانيدين، الذين يحاولون أن يشيعوا عنه باستمرار كلمة ردية... قاموا على الرب وعلى مسيحه وهم يقولون : لنقطع أغلالهما، ولنطرح عنا نيرهما (مز ٢) .

إننا عندما نرى آلام السيد المسيح ، نتعزى فى آلامنا .

وعندما نرى آلامه ، نتبكت فى داخلنا ، لأننا سبب آلامه ...

كثيرون يحزنون على آلام المسيح ، وهو يزيدون آلامه بأفعالهم وفى كل يوم يضيفون إلى المسيح ألماً جديداً ...

وكثيرون يرون صورة المسيح المصلوب ، فيبكون و يتألمون فى قلوبهم : بينما هم يصلبون المسيح كل يوم ...

إن أردنا حقاً أن نخفف من آلام المسيح ، علينا أن نتوب ، لأننا بذلك لا نحزن قلبه بخطية جديدة ، ولا نضع قطرة جديدة فى كأس آلامه بسبب خطايانا . فلنترك الخطية إذن ، لنُفرح قلب الله .

لتكن توبتنا مخلوطة بمحبة المسيح المصلوب عنا .

كثيرون يبتعدون عن الخطية ، خوفاً من جهنم والعقاب الأبدى . ولكن ليتنا نترك الخطية ، لأنها تؤلم المسيح ، وتجرح قلبه المحب ، وليس لمجرد خوفنا من فقد الملكوت ، أو حرصاً على أنفسنا .

لا تكن توبتنا مركزة فى ذاتنا ، نقاوتها ومصيرها ، بل الحرى فلنركز مشاعرنا فى الله الذى أحبنا ، والذى يعتبرها خيانة منا ، أن نقابل محبته بالجحود ، ونضيف إليه بأخطائنا آلاماً أخرى .

ولنطلب من الرب أن يعيننا على أن نحيا فى البر ، حتى لا نؤلم قلبه الذى لم يؤلم أحداً ، قلبه المملوء حباً لنا ، واشفاقاً علينا ، حتى ونحن نخطىء .

المسيح فى آلامه عن خطايانا ، كان يشفق ولا يدين .

الدينونة لها وقت آخر فى مجيئه الثانى . أما فى فترة آلامه ، فقد وضع أمامنا حقيقة معزية وهى : « لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » (يو١٢ : ٤٧) ...

والأمر الذى يدعو إلى الإعجاب حقاً فى آلام المسيح :

إن كل أخطاء الناس ، لم تغير إطلاقاً من محبته لهم .

كل خيانتهم ورفضهم ، وكل ما حاكوه حوله من دسائس ، وما لفقوه حوله من تهم وأكاذيب ، بل وكل اعتداءاتهم من ضرب ولطم واستهزاء ... كل ذلك لم يهز محبته العظمى التى لا تحد ...

ظل كما هو القلب الكبير ، الذى يسع الكل ... يسع ضعفات أحبائه ، و يسع خيانة الشعب الذى أحسن هو إليه . هذا القلب الكبير الذى صلى لأجل صالبيه قائلاً : « يا أبتاه إغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) .

حقاً إن محبة المسيح كانت أقوى بكثير جداً من آلامه ...

والمذهل أيضاً فى آلامه ، أنها كانت سبباً لسروره ...

يقول معلمنا بولس الرسول « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع ، الذى من أجل السرور الموضوع أمامه ، إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى » (عب ١٢ : ٢) .

لقد وجد السيد المسيح سروراً فى تحمل الآلام ، من أجل فرحه

بخلاصنا ، لذلك إستهان بالخزى . ولم يتألم عنا متضجراً إنما فرحاً ، بسبب محبته الكبيرة لنا ، ومحبته للآب وإرضائه . فكان فى صلبه « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا ١١ : ٩) .

لقد أعطانا المسيح خلاصاً . والمعطى بسرور يحبه الرب .

كان يعطى حياته فداء عن العالم . وكان عطاؤه ممزوجاً بمحبته ، وكان عطاء بسرور ، من أجل الخلاص العظيم وإتمامه ...

والجميل فى آلام المسيح أيضاً ، أنه قدَّس الألم ...

الألم جاء نتيجة للخطية ، دخل العالم فى أثرها ... كما دخل فى أثرها أيضاً الموت .

وقد أراد المسيح أن يخلصنا من كليهما ، من الألم والموت . فإذا به بالموت قد داس الموت . وإذا بالألم قد قدَّس الألم ، وحوله إلى علامة حب ، وعلامة طاعة .

طاعة للآب ... وحب للبشر .

ونحن كلما ننظر إلى المسيح المتألم ، إنما نذكر حبه ، ونذكر تقديسه للألم ، وقدسية آلام كل الذين احتملوا من أجله ، كالشهداء والمعترفين ، وكل من حملوا الصليب فى حياتهم .

وإذ نحب الألم وقدسيته ، ندخل فى شركة آلام المسيح ...

كما قال القديس بولس الرسول « لأعرفه ، وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، مشتبهاً بموته » (فى ٣ : ١٠) .

كيف ندخل فى شركة آلام المسيح ؟

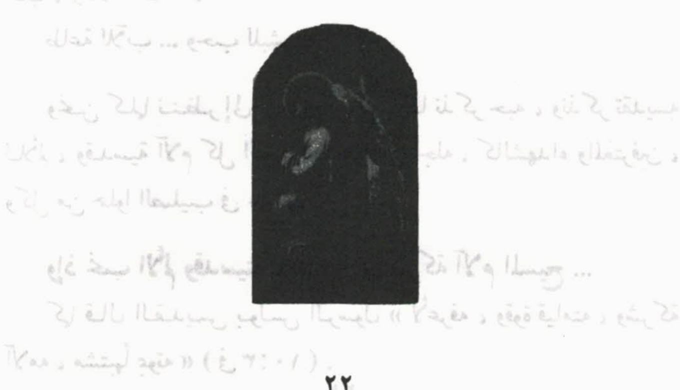
هذا موضوع طويل ، موعدنا فيه محاضرة أخرى ، إن أحبت نعمة الرب وعشنا .

أما الآن فلنستمر فى تأملاتنا فى آلام المسيح لأجلنا . وكيف أنه فى عمق آلامه كان يعمل لأجلنا ، مهتماً بنا .

وفى يوم الخميس الكبير ، وهو عالم أن ساعته قد جاءت (يو١٣ : ١) قدم لنا عملين من أعمال محبته هما :

* تقديم جسده ودمه لنا ، لأجل أن نثبت فيه .
* وقبل ذلك غسل أرجلنا ، رمز لتطهيرنا قبل التناول .

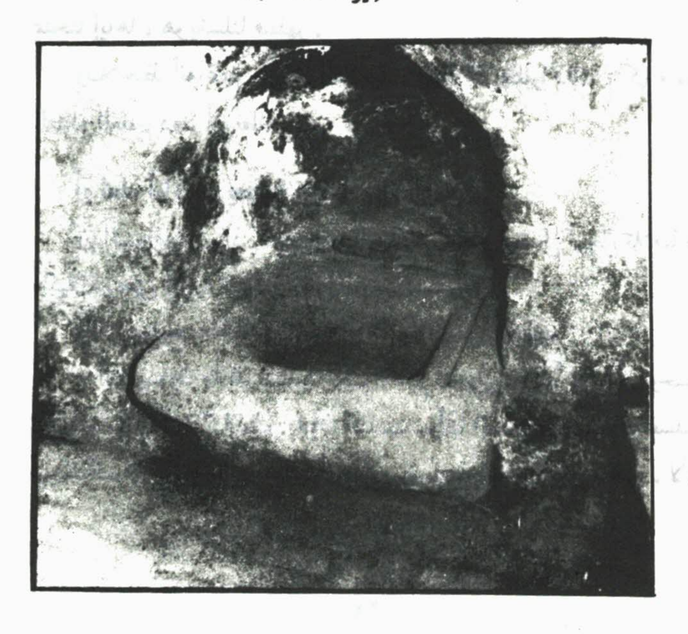
فلنأخذ هذين الموضوعين مجالاً للتأمل فى محبة الرب لنا ، أثناء آلامه عنا ...



عظـــة عن اللقـــان

يوم خميس العهد

« قام عن العشاء ، وخلع ثيابه ، وأخذ منشفة واتزر بها . ثم صب ماء فى مغسل ، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة » (يو١٣ : ٤ ، ٥) .

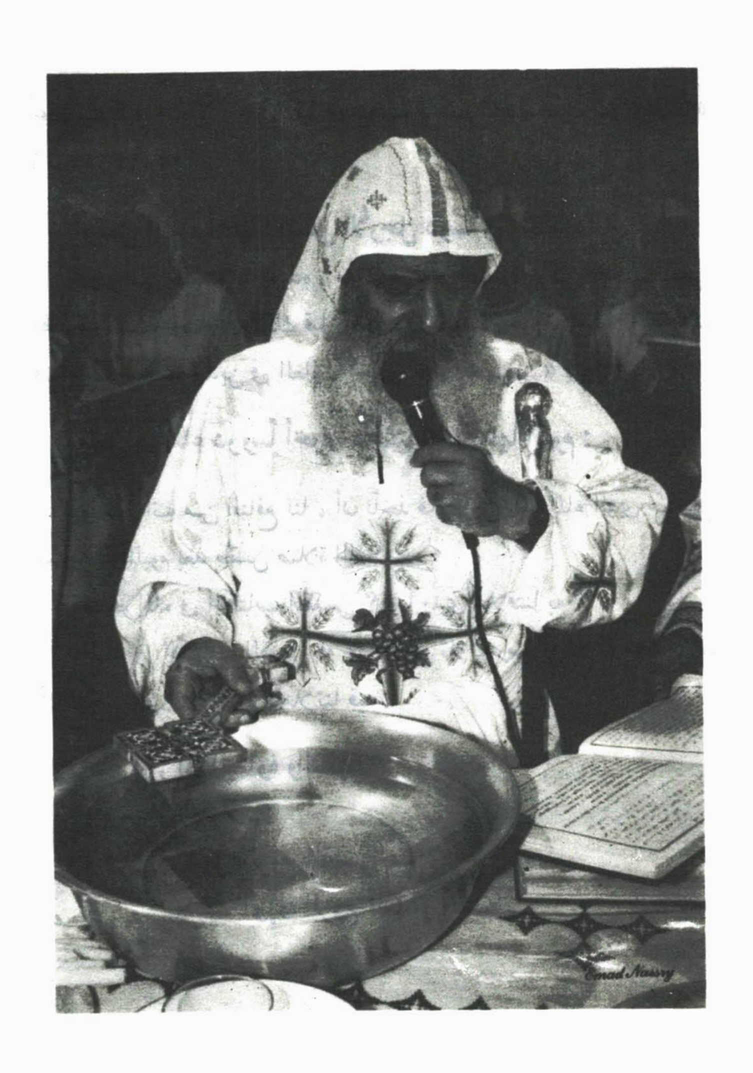


دروس روحيـــة من المـــاء :

لقد غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه يوم الخميس الكبير ،
وغسلها قبل التناول ، قبل أن يمنحهم السرائر المقدسة ،
وقال لهم بعد غسل أرجلهم ، ها أنتم طاهرون ...

لعله أراد أن يعطينا درساً عن الطهارة قبل التناول ،
فيتقدم الإنسان إلى الأسرار المقدسة وهو طاهر ...
أو لعله يعطينا درساً آخر ، أن الطهارة منحة من عنده . هو الذى يمنحنا إياها ، هو يغسلنا فنطهر .
ونلاحظ أنه غسل أرجل التلاميذ ، دون أن يطلبوا ذلك ، كما منحنا الفداء العظيم دون أن نطلب ...

أو لعله أراد أن يعطينا درساً فى التواضع ...
فى التواضع ، إذ كيف ينحنى المعلم العظيم ليغسل أرجل تلاميذه ، وكيف ينحنى الرب نفسه ليغسل أرجل صنعة يديه .
ولكى يوضح هذا الدرس ، قال لهم بعد غسل أرجلهم :
« أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت - وأنا السيد والمعلم - قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى


Emad Nassry

أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت بكم تصنعون أنتم أيضاً »
(يو١٣ : ١٢-١٥) .

أو لعل الرب أعطانا بغسل الأرجل درساً فى المحبة ...

فهو من محبته لتلاميذه ، منحهم هذه الطهارة ، كى يمنحهم بنفس المحبة جسده ودمه . ولذلك قيل عنه قبل غسله لأرجل تلاميذه « إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى ... » (يو١٣ : ١) .

ولعل فى الماء دروساً أخرى ، علينا أن نتأملها اليوم :

وأظن أنه من النافع لنا ، أن نأخذ فكرة عن هذا الماء الذى سنغسل به أرجلنا اليوم بعد طقس صلاة اللقان ...

ما هو الماء فى الكتاب المقدس ؟ وما مدى علاقتنا به ؟

الماء فى الكتاب المقدس له على الأقل ثلاثة رموز أو ثلاثة معانٍ . نود أن نتكلم عنها ، ثم نتابع تأملاتنا فيه :

الماء يرمز إلى النقاوة والتطهير ...

و يرمز إلى الحياة ...

و يرمز إلى عمل الروح القدس ،

أو إلى الروح القدس نفسه ...

١ ـ الماء وعمل التطهـير :

عمل التطهير واضح جداً من فصل إنجيل اليوم فى غسل السيد لأرجل تلاميذه . وتوجد أمثلة أخرى كثيرة فى الكتاب المقدس .

ولعلنا نذكر أنه كانت توجد مرحضة فى خيمة الإجتماع ، بين الخيمة والمذبح ، وفى المرحضة ماء « فيغسل هرون و بنوه أيديهم وأرجلهم منها ... عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ... فريضة أبدية له ولنسله فى أجيالهم » (خر٣٠: ١٨-٢١) .

الإغتسال أولاً . الطهارة أولاً ، قبل التقدم إلى المذبح والذبيحة .

ومثال الإغتسال فى خيمة الإجتماع ، يقابله أيضاً الإغتسال فى الأردن ، وفى بركة سلوام ، وفى بركة بيت حسدا ...

هنا ونقف وقفة تأمل أمام قصة تطهير نعمان السريانى .

كان هذا الرجل أبرص . والبرص كان نجاسة ، وكان يرمز إلى الخطية . ويحتاج إلى تطهير. فكيف تم تطهير نعمان من برصه ؟ أمره أليشع النبى أن يغطس فى نهر الأردن ليبرأ (٢مل ٥: ١٠) . ونهر الأردن يذكرنا بمعمودية يوحنا ، حيث كان اليهود يأتون إليه ، و يغطسون فى الأردن و ينالون مغفرة خطاياهم ، فيطهرون روحياً ...

أنخرج من هذا بأن ماء الطهارة أيضاً له رمز إلى المعمودية ؟

قصة أخرى يقدمها الكتاب ، وهى شفاء مريض بيت حسدا .

كان فيها أيضاً الشفاء مرتبطاً بالماء . وما أجمل قول الكتاب فى تلك القصة إن ملاكاً كان ينزل إلى البركة ويحرك الماء (يو٥ : ٤) . و يتم الشفاء لمن ينزل إلى البركة بعد تحريك الملاك للماء . فالملاك إذن كان بتحريكه للماء ، يعطى الماء فاعلية وقوة .

يذكرنى هذا بالأب الكاهن ، عندما يمسك صليبه ، ويحرك به الماء فى جرن المعمودية ، أو فى اللقان ، وهو يرشم هذا الماء ، و يعطيه قوة وفاعلية ...

أتذكر أيضاً بركة سلوام ، التى أرسل إليها السيد المسيح رجلاً مولوداً أعمى ، لكى يغتسل من مائها ، فيبرأ و يستنير و يبصر (يو٩ : ٧) .

يمكن أن نضم الدموع أيضاً إلى موضوع الماء ...

فالدموع ماء ، يحدث به تطهير للنفس وشفاء للروح ، كما حدث من ماء بركة سلوام ، و بركة بيت حسدا .

فى قصة المرأة الخاطئة التى علمت أن السيد المسيح متكىء فى بيت الفريسى ، فأخذت قارورة طيب كثير الثمن ، ووقفت عند قدمى المسيح باكية ، وكانت تبلل قدميه بدموعها وتدهنهما بالطيب (لو٧ : ٣٨) .

صدقونى لست أعلم : أيهما كان أطيب رائحة ، الطيب أم دموع هذه التائبة ؟! بلا شك الدموع كانت صاحبة الفاعلية ...

كانت دموع هذه المرأة طيباً من نوع غالى الثمن جداً. والسيد الرب طوّب هذا الطيب الجديد الذى تبللت به قدماه.

إذن الماء مرتبط بالتطهير، حتى ماء العيون، حينما يحركه ملاك ترسله النعمة. هنا ونتذكر قول المزمور (مز ٥٠): إنضح علىَّ بزوفاك فأطهر. وماذا أيضاً؟ يقول المرتل:

« إغسلنى، فأبيض أكثر من الثلج »...

والغسيل فى المسيحية بطريقتين: المعمودية، والتوبة.

ونرى أن الخاطئة يهوذا، التى وردت قصة تطهيرها فى الأصحاح ١٦ من سفر حزقيال النبى، قال لها الرب « وجدتك مدوسة بدمك... فحممتك بالماء، ودهنتك بالزيت ». الماء هنا يرمز إلى ماء المعمودية الذى يطهَّر به الإنسان من كل خطاياه السابقة الجدية والفعلية. والزيت يرمز إلى زيت الميرون الذى يعطى الروح القدس، ولكن بعد الماء...

ولقد ظل الماء رمزاً للتطهير، حتى أن الكاهن قبل أن يبدأ القداس، يغسل يديه بالماء ثلاث مرات، و يقول فيها:

« أغسل يدى بالنقاوة، وأطوف بمذبحك يارب » (مز ٢٥).

لا يقول « أغسل يدى بالماء » إنما « أغسل يدى بالنقاوة » لأن غسيل الماء هنا يرمز إلى النقاوة، كما ترمز إليها الملابس البيضاء التى يلبسها الكاهن وقت الخدمة. وكما كان يغتسل هرون و بنوه قبل تقدمهم إلى المذبح...

ورمز الماء إلى الطهارة ، كان معروفاً حتى بين الأمم . فبيلاطس البنطى ، لكى يريح نفسه من تعب ضميره ، غسل يديه بالماء وهو يقول « أنا برىء من دم هذا البار » (مت ٢٧ : ٢٤) . طبعاً هو لم يكن بريئاً ، ولكننا نذكر هنا مجرد إيمانه برمز غسيل الماء إلى الطهارة .

هنا ونود أن نطرح تأملاً بسيطاً خاصاً بماء الطوفان ...

لا ننكر أن مياه الطوفان كانت عقوبة من الله . ولكن هل يقف الأمر عند مجرد العقوبة ؟ أم كانت هذه المياه تطهيراً للأرض من الخطية والخطاة ، تطهيراً للأرض من الفساد الذى نجسها ، فغسلها الله من خطايا الإنسان ، بالماء ليطهرها ويجددها لكى تحيا مرة أخرى فى نقاوة ...

إن غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه كان يرمز لتطهيرهم .
ولا شك أن هذا كان لازماً فى مناسبة الفصح وعيد الفطير .

نلاحظ من قراءات الكنيسة فى طقس الخميس الكبير ، فى هذه الساعة المقدسة وماقبلها ، أن غسل الأرجل تم فى اليوم الأول من عيد الفصح وعيد الفطير .

الفطير يرمز للنقاوة والطهارة التى تليق بتناول الفصح ، بينما الخمير يرمز إلى الشر . وقد غسل السيد المسيح أرجل التلاميذ فى هذه المناسبة المقدسة ، التى جمع فيها بين عيد الفصح ، وبين تقديم نفسه فصحاً عنا .

ومعلمنا بولس الرسول أشار إلى كل هذا بقوله : لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا . فلنعيِّد لا بخمير الخبث والشر ، بل بفطير

الإخلاص والحق (١ كو٥ : ٧، ٨) .

وخروف الفصح قديماً كانوا يأكلونه مع فطير (خر١٢ : ٨) رمزاً إلى النقاوة التى تليق بالأكل من خروف الفصح . حقاً إن خروف الفصح قد خلصهم من الموت ، والملاك المهلك لما رأى الدم عبر عنهم . ولكنهم لكى يتمتعوا بذلك الخلاص لابد أن يعيشوا فى فطير دائم ترمز إليه السبعة الأيام ، أى فى نقاوة كاملة . وكل نفس تستبقى فى بيتها خميراً فى أيام الفصح (أى شراً) تقطع تلك النفس من جماعة الشعب (خر١٢ : ١٩) .

والسيد المسيح مع الفصح غسل أرجل التلاميذ ، رمزاً للنقاوة التى يشير إليها الفطير .

وغسل الماء يرمز إليضاً إلى المعمودية ...

والكتاب المقدس يسميه غسيل أو حميم الميلاد الثانى (تى ٣ : ٦) .

فى المعمودية توجد عملية تطهير من جميع الخطايا السابقة ، سواء الأصلية أو الفعلية ، عن طر يق الماء والروح .

وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى فى سياق حديثنا ...

ونكتفى الآن فى مناسبة اللقان ، برمز الماء إلى عمل التطهير ، ونحن مقبلون على هذا السر العظيم ، التناول من جسد الرب ودمه ...

٢ ـ الماء يرمز إلى الروح القدس :

وهذا واضح من قول الرب فى الإنجيل المقدس «من آمن بى ـ كما قال الكتاب ـ تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى

كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو٧ : ٣٨) .

ولأن روح الله شُبه بالماء ، لذلك فإن تلاميذ الرب الممتلئين بالروح شُبهوا بالأنهار. وكذلك الأناجيل الموحى بها من الروح .

وهكذا قيل عن الكنيسة المقدسة فى المزمور (مز٢٣) « هو على البحار أسسها ، وعلى الأنهار هيأها » . وحسن ما ورد فى قصة الخليقة أن أربعة أنهار كانت تروى الجنة (تك٢ : ١-١٤) . ولعلها ترمز إلى الأناجيل ، التى تروى المؤمنين جميعاً ، والتى كتبت بالروح القدس « الناطق بالأنبياء » .

ولأن الماء يرمز إلى الروح ، شبه الله نفسه بالماء ،

فقال « تركونى أنا ينبوع المياه الحية . لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء » (أر٢ : ١٣) .

وأصبح الشخص الذى يحيا حياته مرتوياً من الروح القدس ،

يُشبّه بشجرة مغروسة على مجارى المياه ،

إنها تحيا بهذا الماء ، وبه تنمو . وبدونه تموت ...

وهكذا ارتبط الماء أيضاً بالحياة ،

ولقب أيضاً فى الكتاب بالماء الحى .

٣- إرتباط الماء بالحياة :

حتى الحياة الجسدية ترتبط أيضاً بالماء ، سواء كانت حياة لإنسان أو

نبات أو حيوان. وقد قيل فى قصة الخليقة إن الله أخرج من الماء ذوات الأنفس الحية (تك ١: ٢٠، ٢١).

والحياة الروحية أيضاً ترتبط بالماء ...

تبدأ بالولادة من الله، الولادة التى من فوق، من الماء والروح (يو٣: ٣، ٥). ولماذا الماء؟ لأن الروح القدس يعمل فى الماء، وفيه يطهِّر ويحيى، يعطى نقاوة وحياة.

يغتسل الإنسان فى ماء المعمودية فيأخذ طهارة. يموت الإنسان العتيق، ويحيا إنسان جديد على صورة الله. فينال الإنسان حياة، و ينجو من حكم الموت ...

هذه هى المعمودية. ولها رموز فى العهد القديم أيضاً ...

قال القديس بولس الرسول « لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا، أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا فى البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر» (١ كو ١٠: ١، ٢).

السحابة ماء، والبحر ماء، وكلاهما كان للمعمودية.

هذا الماء دخله آباؤنا شعباً مستعبداً تحت عبودية فرعون. وخرجوا منه شعباً حراً تحت قيادة الله وموسى.

هذا الشعب الهارب من العبودية، دخل الماء والموت يجرى وراءه، وخرج منه وقد نال حياة جديدة إنتصرت على الموت.

حدث تغيير هام فى اجتياز هذا الشعب للماء ...

وكانت السحابة تظللهم باستمرار، لأنهم كانوا يعيشون فى ظل هذا الماء الحى، أو الماء المحيى، طول مدة غربتهم فى البرية التى ترمز إلى غربة هذا العالم الحاضر.

إن السيد المسيح يدعونا إلى مائه و يقول :

إن عطش أحد، فليقبل إلىَّ و يشرب» (يو٧: ٣٧).

وقد دعا المرأة السامرية إلى مائه الحى، وقال لها «من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو٤: ١٤).

داود النبي يسميه فى مزمور الراعى «ماء الراحة».

فيقول عن الله الراعى «إلى ماء الراحة يوردنى» أى إلى الماء الحى، ماء الروح القدس. وما نتيجة هذا؟ يقول «يرد نفسى، يهدينى إلى سبل البر». هذا هو بلا شك عمل الروح فى الإنسان.

يقوده فى الحياة الروحية وفى التوبة ... و يعطيه الفرح ...

الفرح بالخلاص، أو كما يسميها المرتل «بهجة خلاصك» (مز٥٠).

و يقول المزمور «مجارى الأنهار تفرح مدينة الله» (مز٤٥).

إنه الفرح الروحى، أحد ثمار الروح القدس (غل٥: ٢٢).

هذه المياه التى تفرِّح مدينة الله تذكرنا بحقيقة أخرى عن الماء :

نتذكرها ونحن نتقدم للقداس الإلهى للتناول ، بعد غسل أرجلنا بالماء .
هذه الحقيقة تعبر عنها كلمتان هما :

الماء والدم :

عندما طعن السيد المسيح بالحربة ، خرج من جنبه دم وماء (يو ۹ : ٣٤) . وقد شهد القديس يوحنا الحبيب بهذه الحقيقة فى رسالته الأولى (٤ : ٦) وقال أيضاً « والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة : الروح والماء والدم . والثلاثة هم فى الواحد » (١ يو ٤ : ٨) .

ما أعجب هذه الآية فى موضوع خلاصنا . فما سرّها ومعناها ؟

معناها أن الخلاص الذى قدمه المسيح بالدم ، على الصليب ، تناله أنت بالماء والروح فى المعمودية . .

و يشهد لخلاصك هؤلاء الثلاثة : الروح والماء والدم .

بدون الدم لا حياة ، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ۹ : ۲۲) . ولكن كيف تنال هذا الخلاص المقدم لك بالدم ؟ يقول السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . وفى المعمودية يولد من الماء والروح (يو ٣ : ٥) ، و ينال مغفرة الخطايا (أع ۲ : ۳۸) .

والماء والدم ، نراهما أيضاً فى سر الإفخارستيا ...

حيث أن الكاهن فى صلاة القداس الإلهى يمزج الخمر بالماء . و يقول فى صلوات القداس « وكذا الكأس بعد العشاء ، مزجها من خمر

وماء ... » . وبهذا الدم الذى نتناوله ممزوجاً بالماء ، ننال الحياة . ونرى ف
كل منهما علاقة بالحياة ، فى الدم وفى الماء .

ولكن قبل تذكارات هذا التناول أود أن أختم بكلمة عن اللقان عن
غسل الأرجل ...

لماذا غسل الأرجل ؟

السيد المسيح غسل أرجل تلاميذه . فلماذا غسل الأرجل بالذات ؟
بالإضافة إلى ما يمكن أن نقوله عن الإتضاع فى غسل الأرجل ، أود أن
أذكر تأملاً للقديس أوغسطينوس حول قول العروس فى سفر النشيد
(نش ٥ : ٣) .

خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ غسلت رجلىَّ فكيف أوسخهما ؟

قال إن الإنسان قد اغتسل بالمعمودية وتطهَّر وارتفع عن الماديات ، غير
أنه طالما يحيا فى الأرض ، فإنه يعود و يتصل بالمادة ، بهذا التراب ، فتتسخ
قدماه بهذا التراب الذى تطؤه قدماه .

لذلك فإن عذراء النشيد حينما دعاها الرب لخدمته ، خافت من هذه
الإحتكاكات التى قد توجد فى مجال الخدمة ، والتى قد تشين الطهارة التى
نالتها فى المعمودية و إذ خلعت هذا الثوب الذى هو الإنسان العتيق ،
فكيف تعود إلى مشاكله . وقد غسلت قدميها اللتين داستا التراب من
قبل ، فكيف تعود بهما إليه ؟!

السيد المسيح يطمئن النفس، التى تدخل فى مشاكل الناس لكى تجذبهم إليه، فيقول لها: حتى إن اتسخت قدماك، سأعود أنا وأغسلها كما غسلت أرجل التلاميذ وقلت لهم: ها أنتم طاهرون.

ملاحظة أخرى نقولها فى غسل الأرجل:

إن غسل الأرجل، تنوب عن غسل الإنسان كله.

والقديس بطرس الرسول لما طلب أن يغتسل كله، قال له الرب «الذى قد اغتسل، ليست له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله» (يو١٣: ١٠).

والكاهن حينما يغسل يديه قبل القداس، و يقول «أغسل يدى بالنقاوة، وأطوف بمذبحك يارب»، ليس هو فى حاجة إلى غسل جسده كله. إنما عضو فى الجسد ينوب عن الباقى.

كما نرشم عضواً واحداً فى الجسد، فيعتبر الإنسان كله قد نال هذا الرشم...

وغسيل الأرجل فى لقان الخميس الكبير، يرمز إلى النقاوة التى يجب أن تسبق التناول. فاهتموا بهذا الأمر.

و يعجبنى فى هذا المجال عبارة قالها صموئيل النبى، حينما ذهب إلى بيت لحم. ودعا إلى الذبيحة بقوله:

تقدسوا، وتعالوا معى إلى الذبيحة (١ صم ١٦: ٥).

لأنه لا يليق أن يذهب أحد إلى الذبيحة وهو غير تائب، إنما يتقدس

أولاً ، يتطهَّر بالتوبة ، ثم يتقدم إلى التناول .

والكنيسة تغسل أولاً أرجل الشعب ، وتقول لهم « أنتم الآن طاهرون » ثم تقدمهم للتناول .

ولكن ليس معنى هذا أن تأتى إلى الكنيسة يوم خميس العهد ، وتتقدم لغسل رجليك وأنت غير تائب . وإلا تسمع تلك العبارة المخيفة :

أنت (الآن) طاهرون ولكن ليس كلكم » (يو ١٣ : ١٠) .

« ليس كلكم » ؟! لا يارب ، نريد أن نكون كلنا طاهرين .

إنضح علينا بزوفاك فنطهر . واغسلنا فنبيّض أكثر من الثلج .

نعم ، هذا هو هدف اللقان . الطهارة قبل التناول .

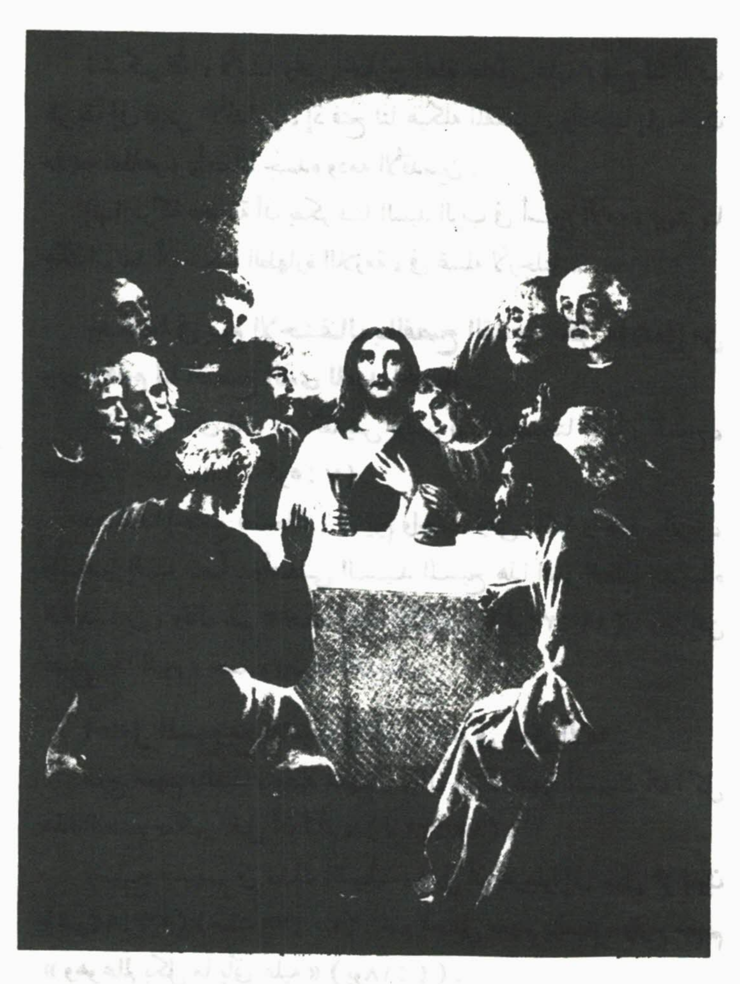
« تقدسوا ، وتعالوا معى إلى الذبيحة » .

أرجو لكم تناولاً مقدساً ، باستحقاق ، من السرائر المقدسة فى هذا اليوم العظيم ، وأن تكونوا كلكم طاهرين .

إن الطهارة التى يحملها رمز الماء ، توجد فى الكنيسة فى كل قداس ، وليس فى قداس اللقان فقط .

وبعد كل قداس ، قبل أن يصرف الكاهن الشعب ، يرشهم بماء مقدس ، فنتذكر قول الرب فى سفر حزقيال النبى :

« وأرش عليكم ماء طاهراً ، فتطهرون » (حز ٣٦ : ٢٥) .



التوبة والتناول

نشكر الله ، لأننا ونحن خارج المحلة حاملين عاره ، فتح لنا الرب طريقاً إلى قدس الأقداس ، إذ فتح لنا هيكله المقدس ، وأدخلنا إلى حيث مذبحه الطاهر ، وأعطانا جسده ودمه الأقدسين .

إنها بركة عظيمة أن يفكر فينا السيد الرب فى أسبوع آلامه ، ويهتم بنا هكذا ، بعد أن منحنا الطهارة اللازمة ، فى غسله لأرجلنا ...

وهكذا فى يوم الاحتفال بالفصح القديم ، بكل ما يحمل من رموز ، قدم لنا الفصح الذى للعهد الجديد ...

الفصح الذى قال عنه القديس بولس « لأن فصحنا أيضاً ، المسيح ، قد ذبح لأجلنا ... » (١ كو٥ : ٧) .

وهكذا إجتمع فصحان ، فى يوم واحد ، وعلى مائدة واحدة . الرمز ، والمرموز إليه معاً . وأعطى السيد المسيح هذا السر العظيم لتلاميذه القديسين ، وقال لهم « اصنعوا هذا لذكرى » (لو٢٢ : ١٩) . وها نحن نصنع هذا اليوم ، حسب وصيته المقدسة .

احتفل المسيح مع تلاميذه بالعيد ، وهو فى عمق آلامه .

فرح معهم بالعيد ، وعيّد معهم ، وقال لهم « شهوة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم ، قبل أن أتألم » (لو٢٢ : ١٥) .

وسبّح معهم فى تلك الليلة ، قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون (مر١٤ : ٢٦) (مت٢٦ : ٣٠) . نعم احتفل معهم بالعيد ، وفرح معهم « وهو عالم بكل ما يأتى عليه » (يو١٨ : ٤) .

حقاً ما أنبل القلب المتألم ، الذى يغنى مع القلوب الفرحة .

وفى فرحة عيد الفصح ، حدثهم عن جسده الذى يبذل عنهم ، ودمه الذى يسفك عنهم (لو٢٢: ١٩، ٢٠) .

وبهذا أعطى للتلاميذ عيداً جديداً ، وعهداً جديداً .

وأعطاهم فكرة أن جسده سيبذل ، ودمه سيسفك ، عنهم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت٢٦: ٢٨) (مر١٤: ٢٤) . وقال إن هذا هو الدم الذى للعهد الجديد ...

لم يتركهم يفاجأون بهذا الأمر ، أن يروا دمه يسفك أمامهم ، إنما قال لهم قبل أن يكون ، حتى إذا كان يؤمنون (يو١٣: ١٩) .

عجيب أن يتكلم أحد عن سفك دمه ، بهذا الهدوء ...

وأن يتكلم عن سفك دمه بطريقة موضوعية هكذا ، وسط مظاهر الفرح والتسبيح ، وهو يحتفل مع تلاميذه بالعيد ...

ولكنه المسيح المحب الحنون ، الذى يفكر فى خلاص البشرية ، وليس فى ذاته هو أو فى آلامه .

نلاحظ هنا أنه قال دمى الذى يُسفك وليس الذى سُفك .

وكذلك قال جسدى الذى يُبذل وليس الذى بُذل ... ذلك لأن دمه قد سفك يوم الجمعة ، وجسده قد بذل يوم الجمعة ، اليوم الذى تم فيه الخلاص ...

إن حديثه يوم الخميس ، كان عن الخلاص الذى سيتم يوم الجمعة .

والفصح الذى احتفل به يوم الخميس ، كان رمزاً للفصح الحقيقى الذى للعهد الجديد الذى يذبح عنا يوم الجمعة . وكأن الرب أراد أن يقول :

إن هذا الفصح الذى تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدى الذى يبذل عنكم غداً ، وإلى دمى الذى يسفك عنكم غداً .

هذين اللذين اقدمهما لكم على صورة الخبز والخمر . وعلى هذه الصورة ستصنعون هذا السر لذكرى .

وعبارة « هذا اصنعوه لذكرى » أمر يحمل استمرارية هذا السرّ مدى الدهور « لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذه الكأس ، تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » (١ كو١١ : ٢٦) . وعبارته « إلى أن يجىء » تحمل معنى أن ممارسة هذا السرّ العظيم تبستمر حتى مجيئه الثانى ، أى إلى آخر الدهر .

قال إن هذا دمى الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا .

المقصود بالكثيرين أولئك الذين يؤمنون به ، و بفدائه العظيم وفاعلية دمه لمغفرة الخطايا ، وكذلك يؤمنون بأسراره المقدسة ويمارسونها . و يشترط أيضاً فيهم أن يكونوا تائبين ، لأن الرب نفسه قد قال « إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو١٣ : ٥) .

التوبة إذن لازمة لتناول المؤمنين ، كشرط هام للاستحقاق .

هذا الاستحقاق للتناول الذى شرحه القديس بولس الرسول ... فقال فى الإصحاح ١١ من رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« إذن أى من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه ... » .

« لأن الذى يأكل و يشرب بدون استحقاق ، يأكل و يشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب » .

« من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى ، و كثيرون يرقدون » (١ كو١١ : ٢٧-٣٠) .

إذن الأمر خطير ، وعقوبته خطيرة :

من يتناول بدون استحقاق ، يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه ، غير مميز جسد الرب ، قد تصل عقوبته إلى ضربات فى الجسد كالمرض والموت ... لذلك يقول الرسول :

« ولكن ليمتحن الإنسان نفسه » قبل التناول ...

« لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا » (١ كو١١: ٢٨، ٣١) .

فماذا تعنى كلمة الاستحقاق إذن ؟

إن تحدثنا عن الاستحقاق بمعنى مطلق ، فلن يوجد أحد مستحقاً ... !

فمن جهة هذا الاستحقاق ، كان القديس العظيم الأنبا رو يس - وهو صاحب معجزات - يخاف جداً حين التقدم للتناول من السرائر المقدسة . وكان يقول : إن الذى يتقدم للتناول ، ينبغى أن يكون داخله فى نقاوة أحشاء العذراء القديسة التى حملت المسيح داخلها ... !

من أجل ذلك يقول الأب الكاهن فى (صلاة الاستعداد) ...

(وهى صلاة يقولها سراً قبل القداس » : أيها الرب العارف قلب كل أحد ... أنت يارب تعرف أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التى لك . وليس لى وجه أن أقترب وأفتح فاى أمام مجدك المقدس . بل ككثرة رأفاتك ، أغفر لى أنا الخاطىء ، وأمنحنى أن أجد نعمة ورحمة فى هذه الساعة » ...

ومن أجل هذا يليق بكل إنسان ، أن يقول قبل التناول :

يارب ، ليس من أجل استحقاق ، وإنما من أجل احتياجى . ليس من أجل استحقاق ، لكن من أجل علاجى .

معترفين كلنا بأننا غير مستحقين ، وكأننا نقول للرب : ليست لنا الطهارة التى نتقدم بها إلى جسدك ودمك . فنحن لسنا طاهرين حتى نتقدم للتناول ، إنما نحن نتقدم للتناول حتى نكون طاهرين .

نحن نتناول « طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » كما نقول فى بداية الأواشى فى القداس الإلهى ...

إن الطهارة النسبية التى تناسبنا ، لكى نتقدم إلى التناول عملاً بقول النبى « تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة » (١صم١٦ : ٥) ، تتركز فى أمور هامة منها :

الإيمان ، والتوبة ، والصلح مع الآخرين ، والطهارة الجسدية .

أما عن الإيمان ، فالمقصود به الإيمان المسيحى السليم ، بلا بدعة ولا

هرطقة . وكذلك الإيمان بهذا السر وفاعليته ، و بالشروط التى وضعها الله لإتمامه ، وحفظت بالتسليم الرسولى .

أما عن التوبة ، فالمقصود بها على الأقل ترك الخطية والعزم الحقيق على عدم الرجوع ، مع الإعتراف بالخطية والندم عليها .

وقد يتشكك البعض فى موضوع التوبة . ونلاحظ أن البعض يمتنعون عن التناول ، بحجة أنهم مازالوا يخطئون بعد التناول ، إذن فهم لم يتوبوا ! وإذن فهم غير مستحقين ! ولهذا يكون عدم التناول أضمن لهؤلاء . وللرد على هؤلاء نقول :

إن التناول يعطى طهارة ، ولا يعطى عصمة ...

ولا يوجد أحد معصوماً ، مهما كان باراً وقديساً ، ومهما اعترف وتناول . هو لا يزال تحت الضعف إلى آخر يوم فى حياته ، والضعف درجات تتفاوت من إنسان لآخر.

أما إكليل البر ، فإن الديان العادل يهبه للقديسين فى ذلك اليوم (٢تى ٤ : ٨) أى اليوم الأخير. حينئذ لا تكون خطية فيما بعد ...

تناول إذن . وفى كل تناول تأخذ قوة . حتى إن أخطأت ، يكون فى قلبك إستحياء من جهة الخطية ، وندم عليها ، وإدانه لنفسك !

أما حالة الإستهتار فإنها تمنع من التناول . وكذلك حالة اللامبالاه ، وحالة العبودية للخطية ، التى يتناول فيها الإنسان وهو مُصر على الرجوع للخطية . كلها صور تدل على عدم التوبة .

أما عن الصلح مع الآخرين ، فقد أشار إليه الرب بقوله :

إن قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك أمام المذبح . واذهب أولاً إصطلح مع أخيك ...» (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

إذن الصلح مع الناس لازم للتناول . لأنك لا يمكن أن تتقدم إلى « ذبيحة الحب » وأنت خال من الحب . ولعلنا نذكر فى هذا المجال أننا نصلى صلاة الصلح قبل البدء فى قداس القديسين . ونقول فى تلك الصلاة « إجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا ، أن نقبّل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ، لكى ننال بغير انطراح فى دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية » .

إذن عدم المصالحة يطرح فى دينونة ، إذا تناول الإنسان .

فما معنى المصالحة ؟ وهل يلزم الصلح مع جميع الناس .

المصالحة على الأقل تعنى أن القلب خال من الخصام والكراهية . فإن أمكن المصالحة بالفعل ، وإرجاع علاقات المودة يكون هذا هو الوضع السليم والواجب . ولكننا فى كل هذا ، نتذكر قول الرسول :

«إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس » (رو١٢ :١٨) .

ذلك لأن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن مسالمتهم . فالسيد المسيح لم يسالمه الكتبة والفريسيون والصدوقيون والكهنة والناموسيون ورؤساء الشعب ، أو غالبية هؤلاء . ولم يسالمه أولئك الذين أسلموه حسداً . وما

كان المطلوب منه أن يذهب أولاً و يصطلح مع هؤلاء لتكون صلته صافية مع الآب .

و بولس الرسول ما كان ممكناً أن يترك قربانه قدام المذبح ، و يذهب أولاً فيصطلح مع إسكندر الحداد الذى فعل به شروراً كثيرة ، وقاوم كلمة الله جداً (٢تى ٤ : ١٤، ١٥) .

لذلك قال الرسول فى المصالحة ومسالمة الآخرين « إن كان ممكناً » وقال « حسب طاقتكم » . ذلك لأن هناك حالات غير ممكنة ...

لا يحسب عليك إن كان عدم المصالحة راجعاً إلى الآخرين ، وليس إليك أنت . أوإن كان ذلك للفائدة الروحية ...

فقد تحاول أن تعيش فى سلام مع البعض ، ولا تستطيع ، بسببهم ، وليس بسببك أنت . مثال ذلك الذين يحسدونك على تفوق فيك أو مواهب أعطاها الله لك ، أو لشر فى قلوبهم ، كما حدث أن قايين حسد هابيل ، ورؤساء اليهود حسدوا المسيح . وقد قال المرتل فى المزمور « أكثر من شعر رأسى ، الذين يبغضوننى بلا سبب » (مز٦٩ : ٤) . فالذين يبغضونك بلا سبب ، إن لم تستطع مصالحتهم فأنت معذور ، ولا يمنعك هذا من التناول . وكذلك الذين يضطهدونك (يو١٦ : ٢) .

كذلك هناك أناس تبتعد عنهم ، خوف العثرة ، حرصاً على روحياتك .

كأولئك الذين ذكرهم المزمور الأول « مجالس المستهزئين ، وطرق الخطاة » . و« كالمعاشرات الردية التى تفسد الأخلاق الجيدة » . لا يلزمك أن تترك قربانك ، وتذهب لتصطلح مع هؤلاء ...

أما عن ترك قربانك قدام المذبح ، وذهابك أولاً للصلح :

فهذا لازم فى حالة من تكون قد أخطأت أنت إليه .

ولذلك يقول الرب « إن تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك » ، هوله شىء عليك ، أى أنك أنت قد أخطأت إليه . **هذا ينبغى أن تذهب** وتصالحه وتطيب قلبه من جهتك قبل التناول ، وتنفذ ما ورد فى وصية الرب . وحتى إن كان قد أخطأ هو إليك ، فاذهب وعاتبه (مت١٨ : ١٥) لإرجاع المحبة بينكما .

وعلى أية الحالات ، أنت هنا واحد من اثنين : إما إنك أنت المعتدِى ، أو معتدَى عليك .

إن كنت معتدياً ، أترك قربانك ، وصالح أخاك ، وأصلح خطأك .

وإن كنت معتدياً عليك ، عاتب لتصالح ، أو على الأقل إغفر لأن هناك أصنافاً من الناس لا ينفع العتاب معهم ، وقد يأتى بنتائج عكسية ، أو إنهم فى موقف لا يمكنك فيه الذهاب إليهم لكى تعاتبهم . هؤلاء على الأقل إغفر لهم ، ولا تستبق فى قلبك حقداً عليهم أو عداوة لهم ...

وتذكروا قول الكتاب « إغفروا يُغفر لكم » (لو٦ : ٣٧) .

هناك طلبة واحدة فى الصلاة الربانية ، لم يتركها الرب تمر بدون شرح ، وهى « إغفر لنا كما نغفر نحن أيضاً » فقال « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ٦ : ١٤ ، ١٥) .

هذا من جهة المصالحة ، أما من جهة الإستعداد الجسدى ...

فيلزم أولاً الإستعداد بالصوم ، ولا يعفى من ذلك إلا المرضى ومن فى حكمهم ، الذين لهم حالة خاصة لا يمكن معها الصوم .

والكنيسة تفترض أن يكون الإنسان صائماً قبل التناول مدة لا تقل عن تسع ساعات ، بحيث لا يأكل شيئاً بعد منتصف الليل . وإن حدث استثناء ما فى هذه القاعدة ، لسبب ملزم ، يكون ذلك عن طريق أب الإعتراف ، أو بسماح من رئاسة الكهنوت ...

أما عن الطهارة الجسدية ، فيلزم الإمتناع عن المعاشرات الجسدية ، والبعد عن سيل الجسد . وهكذا يكون الإنسان طاهراً بالجسد ، كما يكون طاهراً بالروح . والوصايا كثيرة فى الكتاب بخصوص هذا الموضوع ، ليس مجالها الآن .

ولا نريد أن يمتنع أحد عن التناول بحجة عدم الإستعداد أو عدم الإستحقاق ، إلا لو كان ذلك رغماً عنه .

فلنحاول أن نستعد بالتوبة . والتوبة فى أيدينا . التوبة عمل يحدث داخل القلب ، فهو بإمكاننا إذن وليس خارجاً عنا . تستطيع الآن أن

تستجيب لصوت الله داخلك ، ولا تقسِ قلبك ، وترجع إلى الله ، مستفيداً من كل التأثيرات الروحية التى تقدمها لنا روحيات أسبوع الآلام . الأمر فى يديك ، والكتاب يقول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ١٥) .

فليراجع كل إنسان نفسه ، و يرجع إلى الله ، و يشترك فى بهجة هذا اليوم المقدس ، الذى تعتبره الكنيسة عيداً ، لكى يتناول فى قداس الخميس الكبير أو خميس العهد ، الذى أخذت كل قداسات السنة أصلها الأول منه .

و بكل نقاوة ممكنة ، فلنحاول أن نتقدم للتناول ...

لأنه ليس الجميع يستفيدون فائدة واحدة من التناول ...

إنما حسب إستعداد القلب من الداخل ، هكذا تكون الفائدة .

إن الرسل كلهم ، الذين تناولوا يوم الخميس الكبير ، لم يخرجوا جميعهم بفائدة روحية واحدة . فأكثرهم حباً للرب ، أعنى القديس يوحنا الحبيب ، هو الوحيد الذى بعد التناول استطاع أن يتبع المسيح حتى الصليب ، و يسمع كلمة منه ، و يأخذ بركة ...

و بطرس المتحمس ، المندفع فى حبه ، تبع المسيح جزءاً من الطريق ، ولكنه لم يكمل ، ثم أنكر الرب وندم ... مع أن القديس بطرس كان قد تناول من الرب كما تناول يوحنا تماماً ...

أما باقى التلاميذ ، فإنهم تناولوا أيضاً فى نفس الوقت ، ولكنهم هربوا

ساعة القبض على الرب ، ولم يسيروا معه ولا مرحلة من الطريق ، إنما استسلموا لضعفهم .

يذكّرنا هذا بالبذار التي وقعت على أرض جيدة ...

وأعطت كلها ثمراً . البذار واحدة ، والزارع واحد . ولكن البعض فى إثماره أعطى ثلاثين ، والبعض ستين والبعض مائة .

ليتكم تجهزون قلوبكم ، لكى تعطى هى أيضاً مائة ...

وتذكروا باستمرار البركات العظيمة الناتجة عن التناول .

سواء التى وردت منها فى الكتاب المقدس ، أو التى وردت فى صلوات القداس الإلهى . فهوذا الرب يقول فى الإنجيل :

« أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ... من يأكل جسدى و يشرب دمى ، فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ... من يأكل جسدى و يشرب دمى ، يثبت فىَّ وأنا فيه » (يو٦ : ٥ ، ٥٤، ٥٦) .

وفى القداس الإلهى « يُعطَى عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » ، ونقول أيضاً « نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

لماذا إذن نقصّر فى التقدم إلى هذه الطهارة ، وهذا الخلاص والغفران ، والثبات فى الرب ، والحياة الأبدية .

السيد المسيح ، وهو ذاهب إلى الآلام ، منح الكنيسة نعمة التناول ، وما ينتج عن التناول من بركات عديدة

وفى نفس الوقت أقام بهذا السر عهداً بيننا وبينه .

نعم ، لقد دخلنا بالتناول فى عهد مع الرب ، أنه كلما أكلنا وشربنا من هذه السرائر المقدسة ، أن نبشر بموته ، ونعترف بقيامته ، وأن نذكره إلى أن يجىء .

نبشر بموته ، أى بموته عنا ، هذا الموت الذى نلنا به الخلاص والفداء ، وأصبحنا مقدسين بدمه ، وقد طهرنا هذا الدم من كل خطية (١يو ١ : ٧) لأنه قال : خذوا اشربوا هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مر ١٤ : ٢٦) . وفى هذه الآية وضح الرب أمرين :

١ ـ أن دمه هو لعهد جديد ، لذلك نقول (خميس العهد) .

٢ ـ أنه لمغفرة الخطايا ، أى للخلاص .

إنه حقاً أمر مفرح ، يليق بنا أن نبشر به ، أى نعلن لكل أحد عن هذا الخلاص الذى نلناه .

فهل نحن حقاً أمناء على هذا العهد ...

هل نعتبر كل يوم نتناول فيه يوم عيد ، قائلين : **هذا هو اليوم الذى صنعه الرب ، فلنفرح ولنبتهج فيه ، كما نعتبر يوم الخميس الكبير هذا عيداً ...**

وهل ندرك تماماً ، كيف طهرنا الرب بهذا الدم الذى يسفك لمغفرة الخطايا ، وصيرنا به قديسين ، كما فى القداس :

القدسات للقديسين ...

لعل عبارة « القديسين » هذه ، تبكتنا من الداخل ، من جهة عدم إستحقاقنا ، وأيضاً تدفعنا إلى قدام لكى نسلك كما يليق بأناس قد قدسهم الرب بدمه وطهرهم من كل خطية ...

إذن ما أجمل أن نبشر بموته ، الذى وهبنا كل هذا .

عبارة أخرى دخلنا فيها فى عهد مع الرب هى :

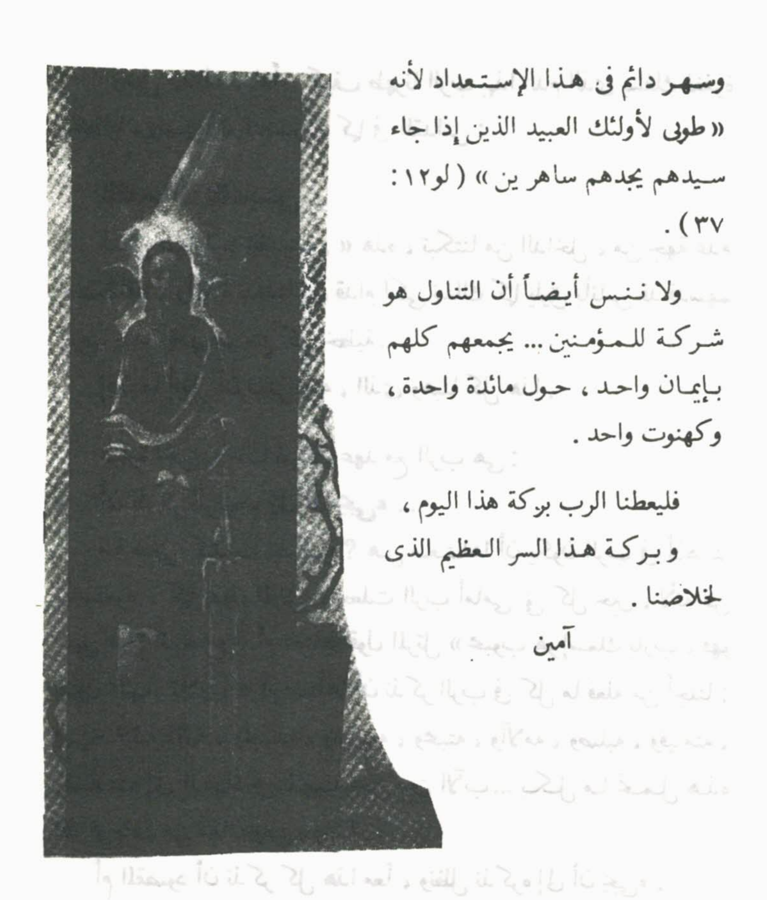
أن نذكر الرب ، إلى أن يجىء ...

ما معنى كلمة نذكره؟ هل معناها أن يكون الرب فى أذهاننا باستمرار ، كما يقول المرتل « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » أم معناها قول المرتل « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » أم معناها أن نذكر الرب فى كل ما فعله من أجلنا : فى إخلائه ذاته ، وتجسده ، وتعليمه ، ومحبته ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته ، وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب ... بكل ما تحمل هذه الذكريات من معان ومن روحيات .

أم المقصود أن نذكر كل هذا معاً ، ونظل نذكره إلى أن يجىء .

وفى عبارة « إلى أن يجىء » إيمان بالمجىء الثانى للرب .

بما يحمل هذا الإيمان من إنتظار لمجىء الرب ، واستعداد لهذا المجىء ،



وسهر دائم فى هذا الإستعداد لأنه «طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو١٢: ٣٧).

ولا ننس أيضاً أن التناول هو شركة للمؤمنين... يجمعهم كلهم بإيمان واحد، حول مائدة واحدة، وكهنوت واحد.

فليعطنا الرب بركة هذا اليوم، وبركة هذا السر العظيم الذى لخلاصنا.

آمين



إهتمام الرب بتلاميذه

أهم ما تميزت به علاقة السيد المسيح ربنا بتلاميذه ، هو تلك المحبة الكبيرة جداً ، التى بها نزل من السماء وأخلى ذاته ...

ولكن محبة السيد الرب ، ظهرت فى أعمق صورة لها ، فى الأسبوع الأخير، أسبوع الآلام ...

تكفى هذه العبارة التى يقول فيها الإنجيل المقدس :

« إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣ : ١).

عبارة « حتى المنتهى » هذه ، يغوص فيها المتأمل ما شاء ، ولا يمكن أن يدرك أعماقها ...

كان الرب يعرف أن حادثة الصلب هذه ، يمكن أن تتعب تلاميذه ، إذ يجدون معلمهم العظيم ، المبهر فى معجزاته ، محتقراً و يسمر بالمسامير... وأخيراً يموت وسط ضروب الاستهزاء ...

لذلك نرى الرب ، خلال هذا الأسبوع ، وقد أهتم جداً ... كيف يعد تلاميذه - نفسياً وروحياً - لمواجهة موضوع صلبه .

كان هذا الموضوع يشغله جداً . فلم تشغله ذاته هو: لا عملية القبض عليه ... ولا محاكمته وما فيها من شهود زور ومن تهم ملفقة ، ولا الاهانات الكثيرة التى تصيبه من ضرب ولطم وشتائم ، مع عبارات التحدى والإستفزاز... ولا نقله من مكان لآخر ليواجه حنان وقيافا ، و بيلاطس

وهيرودس ... ولم يشغله ما سيتحمله من آلام وعذابات فى الشوك والجلد والمسامير والصليب

إنما كان عمق قلبه فى غيره . وكان إنشغاله بأمرين :

كيف يخلص العالم ، وكيف يحفظ تلاميذه فى هذه التجربة .

كان يريد أن يحفظهم فى تلك الساعات الرهيبة - عليهم لا عليه - حتى لا تهتز الكنيسة كلها إن اهتز إيمانهم به .

كان يريد أن يثبت إيمان هؤلاء التلاميذ ، سواء فى أحداث ما قبيل الصلب ، وأثنائه ، وبعد الصلب .

معروف أنه بعد الصلب والقيامة ، ظهر لهم لتثبيتهم .

ظهر لمريم المجدلية ، ولبطرس ، ولتلميذى عمواس ، وللنسوة القديسات ، وللاحد عشر ، وظهر لأكثر من خمسمائة أخ ، كما ظهر فيما بعد لشاول الطرسوسى . وقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ، يثبتهم ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ...

كل هذا بعد القيامة . ولكن قبل الصلب كيف ثبتهم ؟

١ - قبل الصلب بستة أيام ، أقام لعازر من الموت (يو ١١) .

وذلك بعد أربعة أيام من موت لعازر ، بعد أن قيل عنه إنه أنتن . وكان لهذه المعجزة العظيمة دوى كبير ، فآمن به كثيرون وأعطى بها لتلاميذه فكرة عملية عن القيامة من الموت ، حتى بعد فقد كل أمل ... إنها معجزة تسند إيمانهم ، من جهة قدرته ، ومن جهة قيامته إن رأوه يموت ...

٢ ـ وقبل إقامة لعازر، وهب البصر للمولود أعمى (يو ٩) .

وهى معجزة واضحة تدل على لاهوته ، إذ فيها القدرة على الخلق ، وقد خلق عينين من طين . وأحدثت هذه المعجزة أيضاً دو ياً ، حتى أن ذلك الأعمى نفسه قال بعد إبصاره « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى » (يو٩ : ٣٢) . وإنتهت المعجزة بأن هذا الأعمى آمن أن السيد المسيح هو إبن الله وسجد له (يو٩ : ٣٨) .

أراد السيد بهاتين المعجزتين ، أن يسند إيمان التلاميذ أيضاً .

فبالاضافة إلى عمل المحبة من جهة المولود أعمى ، ومن جهة لعازر وأسرته ، كانت لهاتين المعجزتين نتائج أخرى : بعضها فى نفس الوقت إذ آمن كثيرون . و بعضها ظل مختزناً إلى وقت الصلب ، لتقوية إيمان من يضعفون ...

وماذا أيضاً ؟ ماذا فعله أيضاً لتقوية إيمان تلاميذه ؟

٣ ـ أظهر لهم سلطانه أثناء تطهيره الهيكل .

وذلك فى يوم أحد الشعانين ، اليوم التالى لمعجزة إقامته لعازر من الموت . دخل أورشليم كملك ، والشعب كله يهتف له ، و يستقبله بأغصان الزيتون وسعف النخل .

وفى تلك المناسبة قام بتطهير الهيكل فى قوة وسلطان ، وهو يقول عنه « بيت أبى » ، و يوبخ الكهنة ورؤساءهم بقوله « جعلتموه مغارة لصوص » ... ولم يستطع أحد أن يقاومه ... كان أقوى من كل مقاومة .

كان سيد الموقف . وكل عبارة سمعها رد عليها بقوة وبحجة لا تحتمل الجدل .

وكل هذا رفع معنويات التلاميذ . وماذا أيضاً ؟

٤ - بنفس القوة وبخ جميع القيادات اليهودية .

وبخ الكهنة بمثل الكرامين الأردياء . وقال لهم « ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تصنع ثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وأبكم الصدوقيين فى موضوع قيامة الأموات (مت ٢٢ : ٣٤) . وكذلك الناموسيين أيضاً . ووبخ الكتبة والفريسيين فى عنف ، قائلاً « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون » (مت ٢٣) .

وكان أقوى من الكل ، حتى قال عنه متى البشير : « فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » (مت ٢٢ : ٤٦) .

وكل ذلك كان يقوى معنويات التلاميذ ، ويشعرهم بقوة معلمهم ، ويعدهم للتجربة المقبلة ... وماذا أيضاً ؟

٥ - لعن شجرة التين غير المثمرة ، فيبست فى الحال .

وكانت هذه الشجرة ، ترمز إلى الرياء ، لوجود مظهر حياة ، وورق أخضر ، ولكن لا ثمر . وبلعنتها لعن الرياء . ودل الرب بهذا على لاهوته وسلطانه على الطبيعة . فبكلمة منه يبست الشجرة ...

« فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال » (مت ٢١ : ٢٠) . فأعطاهم الرب درساً فى الإيمان ، وقال لهم

"الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان، ولا تشكون،فلا تفعلون أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل إنتقل وإنطرح فى البحر، فيكون"..

" إن كان لكم إيمان ولا تشكون " عبارة ليتها تثبت معهم وقت صلب معلمهم وموته ودفنه ... وماذا أيضاً ؟

٦ - غسل الرب أرجلهم ، رمزاً للنقاوة .

وبعد أن غسل أرجلهم ، قال لهم : أنتم الآن طاهرون .. (يو ١٣: ١٠) . لعلهم بهذه الطهارة يثبتون ، بالقوة التى أخذوها من غسل الرب لأرجلهم ... ماذا أيضاً ؟

٧ - أعطاهم أيضاً سر الإفخارستيا ...

منحهم جسده ودمه الأقدسين ، لكى يمنحهم قوة روحية بهذا السر العظيم ، إذ سبق أن قال لهم " من يأكل جسدى ويشرب دمى، يثبت فىَ وأنا فيه " (يو ٦: ٥٦) . إذن فقد كان هذا سراً للثبات فى الرب ، ينفع التلاميذ فى ساعة التجربة . إذ كان الرب يطعم طبيعتهم الضعيفة ، بطبيعة أقوى وأسمى منها ...

وفى نفس الوقت كان يمهد أفكارهم لقبول الخير " هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم .. و... ودمى الذى يسفك عنكم " (لو ٢٢: ١٩، ٢٠) " الذى يسفك من أجل كثيرين " (مر ١٤: ٢٤) " الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (مت ٢٦: ٢٨) .

عبارة " سفك دمه " هذه ، كانت تمهيداً ، حتى لا يفاجأوا بما حدث فى نفس الليلة وفى ثانى يوم .

٨ ـ وهكذا كاشفهم بالحقيقة حتى لا يفاجأوا بها ...

قال لهم أكثر من مرة « أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ، و يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، و يقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم » (مت١٦ : ٢١) وأيضاً قال لهم « ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، وإبن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ، فيحكمون عليه بالموت ، و يسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه و يصلبوه . وفى اليوم الثالث يقوم » (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

وهكذا كان يربط فى حديثه الصلب والقيامة ، لتعزيتهم ...

وقبل الفصح بيومين ، كرر عليهم نفس الخبر فقال « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وإبن الإنسان يُسلم ليُصلب » (مت٢٦ : ٢) . وفيما هم يتناولون الفصح معه ، قال لهم « واحد منكم سيسلمنى » .

٩ ـ وبعد الفصح والعشاء الربانى ، جلس معهم جلسة طويلة .

هذه الجلسة سجلها القديس يوحنا فى أربعة أصحاحات من إنجيله (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، كلمهم فيها بصراحة كاملة ، وعزاهم بكلام كثير ، فيه حديث عن القيامة ، وعن الروح القدس وعمله فيهم ، وفيه نصائح لهم . ونرجو أن نعرض لهذا الحديث بالتفصيل .

١٠ ـ وظل إهتمامه بهم ، حتى أثناء القبض عليه .

فعندما جاء الجند ليقبضوا عليه ، قال لهم « إنى أنا هو . فإن كنتم تطلبوننى ، دعوا هؤلاء يذهبون ... ليتم القول الذى قاله « إن الذين

أعطيتنى ، لم أهلك منهم أحداً » (يو١٨ : ٨، ٩) .

وهكذا كان مشفقاً على تلاميذه ساعة القبض عليه ، مهتماً بهم أكثر من اهتمامه بنفسه . يهمه أن يكونوا طلقاء ، وأن يفلتوا من الجند . أما هو فليسلم نفسه و يقبض عليه ...

١١ - حتى وهو على الصليب أيضاً .

إهتم بخاصته كذلك ، وهو فى عمق آلامه ...

فلم يترك أمه العذراء وحيدة ، إنما عهد بها إلى تلميذه الحبيب يوحنا . « ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (يو١٩ : ٢٧) . وكان فى ذلك بركة لهذا التلميذ ، إذ اهتم به الرب ، ووهبه أماً روحية ، هى أقدس أم وأحن أم ، فى هذا العالم كله ...

ومن إهتمام المسيح بتلاميذه حديثه الوداعى لهم .

١٢ - وأيضاً صلاته الطويلة من أجلهم .

فلنتناول هذين الموضوعين بتفصيل أكثر...





جلسة وداعية
بين المسيح وتلاميذه

فى الحقيقة إن الإنسان لابد أن يتردد كثيراً قبل أن يتكلم عن جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه . فنسأل أولاً :

أحقاً ودع المسيح تلاميذه ؟

الوداع معناه الترك . والمسيح لم يتركهم مطلقاً ، هذا الذى قال لهم « حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم » (مت١٨ : ٢٠) . وهو الذى قال لهم أيضاً قبيل الصعود « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر» (مت٢٨ : ٢٠) .

ولكنه على أية الحالات كان تركاً بالجسد ، وإلى حين .

ومع ذلك كان الأمر صعباً عليهم . وكان الرب يعرف هذا ، لذلك جلس معهم يخفف عليهم و يعزيهم .

كان يعرف أن هذا الأمر صعب عليهم . و يظهر هذا من قوله لهم « لأنى قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم » (يو١٦ : ٦) . فما هو هذا الأمر الذى قاله لهم فحزنوا ؟ إنه قوله لهم « أما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى » .

كان لابد أن يواجههم الرب بالواقع الذى سيحدث ...
ثم بعد ذلك يعالج تأثير هذا على مشاعرهم .

أما عن هذا الواقع ، فقال لهم « يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً

بعد . وكما قلت لليهود : « حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (يو١٣: ٣٣)

وكان لابد أن يرد على سؤالهم الذى يقولونه :

« إلى أين تذهب ؟ » (يو ١٣ : ٣٦) .

« لسنا نعلم أين تذهب ؟ » (يو ١٤ : ٥)

كان لابد أن يجيب المسيح ، وبصراحة . فبماذا أجاب ؟

قال : إنى ذاهب إلى الآب (يو١٦ : ١٦) .

وبعد قليل لا تبصروننى (يو ١٦ : ١٧) . وماذا أيضاً ؟

إنكم ستبكون ، والعالم يفرح (يو١٦ : ٢٠)

وكان لابد أن يقول لهم حقيقة أخرى ، بالإضافة إلى ذهابه وهى : إن كانوا قد اضطهدونى ، فسيضطهدونكم » (يو١٥: ٢٠) .

ولتعزيتهم أعطاهم الرب رجاء فى كل شىء .

فمن جهة ذهابه ، سيرونه مرة أخرى ...

إن عبارة « لا تبصروننى » أو « لا تروننى » هى نصف الحقيقة ، النصف المؤلم . فما هو النصف الآخر المعزى ؟

قال لهم الرب « بعد قليل لا تبصروننى . ثم بعد قليل أيضاً تروننى » (يو١٦: ١٧) . « بعد قليل لا يرانى العالم . وأما أنتم فتروننى » (يو١٤: ١٩) . معنى أن العالم لا يراك ، إنك ستموت . فكيف نراك نحن إذن ؟ يجيب المسيح عن هذا الفكر . بقوله « إنى أنا حى » « فى ذلك اليوم

تعلمون إنى أنا فى أبى ، وأبى فىَّ » « الذى يحبنى ... أُظهر له ذاتى » (يو١٤: ١٩-٢١) .

أعطاهم إذن فكرة عن قيامته ، وإنهم سيرونه .

كان قد قال لهم إن إبن الإنسان سيصلب ، وفى اليوم الثالث يقوم (مت١٦: ٢١) (مت٢٠: ١٨، ١٩) . وهو اليوم يؤكد لهم هذه الحقيقة فى عبارات كلها حب :

« لا أترككم يتامى . إنى آتى إليكم » (يو ١٤ : ١٨) .

نصف الحقيقة « إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح » . فما هو النصف الآخر المضىء إذن ؟ أنه « ستحزنون ، ولكن حزنكم سيتحول إلى فرح ... سأراكم أيضاً ، فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو١٦: ٢٠، ٢٢) .

عجيب هو الرب ، إنه فى وداعة ، يتحدث عن الفرح .

كان يؤلمه جداً حزن تلاميذه بسبب فراقه لهم . إنه يعرف تماماً مقدار محبتهم له . أما عن محبته هو ، فيكفى قول الكتاب عنها « إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو١٣: ٢) . وقلب الرب حساس جداً من جهة راحة هؤلاء الذين يحبهم ويحبونه . لذلك يقول لهم هنا : لا أترككم يتامى .

عبارة « يتامى » هنا ، تشعرهم بأنهم أولاده .

وهو فى هذه الجلسة يستخدم أيضاً تعبير « يا أولادى »

« يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً بعد » (يو١٣: ٣٣) .

أنتم أولادى ، وأنا أعلم أنكم تتيتمون من بعدى ، ولكنى لا أترككم يتامى ، ولا أترككم حزانى ، سآتى إليكم . سأراكم فتفرح قلوبكم . لا أترككم مطلقاً للحزن ، فأنا لا أحتمل حزنكم ...

أريد فى هذا الوداع الصعب ، أن أفرح قلوبكم ، وأقول لكم إن حزنكم هوإلى حين ، وحين بسيط ، فبعد قليل سترونى .

أنتم لست فقط أولادى ، بل أحبائى أيضاً .

« أنتم أحبائى ، إن فعلتم ما أوصيتكم به . لا أعود أسميكم عبيداً ... لكنى قد سميتكم أحباء » (يو١٥: ١٤، ١٥) . أنا سأضع نفسى عنكم « ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه » (يو١٥: ١٣) . « كما أحبنى الآب أحببتكم أنا . إثبتوا فى محبتى » (لو١٥: ٩) .

جميل أن تكون جلسة الوداع ، هى حديث حب كهذا .

ويضيف الرب فى تعزيته هم تشبيهاً جميلاً ، يشعرهم أنه لا إنفصال بينه وبينهم ، وهوعلاقة الكرمة بالأغصان .

فيقول لهم « أنا هو الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يو١٥: ٥) . إننا معاً ، « أنتم فىَّ ، وأنا فيكم » علاقتى بكم ، كعلاقة الرأس بالجسد . لستم غرباء عنى . إثبتوا فىَّ . وأنا فيكم ، كما يثبت الغصن فى الكرمة ، حينئذ لا يكون وداع بينى وبينكم ، لأنه لا يكون فراق أبداً .

ما أجمله تشبيه ، كله حب وعاطفة وعزاء ، فى ساعة كهذه . مبارك أنت يارب فى كل تعزياتك الجميلة ...

يضيف أيضاً بأن ذهابه هو للفائدة وللفرح .

فيقول لتلاميذه « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع . سمعتم أنى قلت لكم إنى ماض ، ثم آتى إليكم . لو كنتم تحبوننى ، لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب » (يو١٤ : ٢٧، ٢٨) .

نعم ، لأنه بهذا تنتهى عبارة « أخلى ذاته » (فى ٢ : ٦، ٧) . هناك سأرجع إلى ما قبل إخلاء الذات ، وذلك أعظم ... لذلك إن كنتم تحبوننى ، ستفرحون إنى أمضى .

ثم أن ذهابى نافع لكم ، لأعد لكم مكاناً .

« لا تضطرب قلوبكم ... فى بيت أبى منازل كثيرة ... أنا أمضى لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يو١٤ : ١-٣) . نعم ، سنكون معاً باستمرار .

ولكن وجودنا الدائم معاً ، سيكون هناك وليس هنا .

لا تضطرب قلوبكم ، فهذا أفضل . أما هنا ، فإنى أترك لكم سلامى « سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم » (يو١٤ : ٢٧) إنه سلام من نوع آخر ، سلام روحى ثابت ، ليس كالسلام الذى يعطيه العالم ...

لكن كيف يكون لنا سلام يارب ، وأنت بعيد عنا ؟

هنا الفائدة الثالثة من ذهابي . أرسل لكم الروح القدس :

وقد أفاض الرب فى حديثه عن هذه النقطة بالذات :

فقال لهم إن الروح القدس هذا ، هو الروح المعزى ، الذى سيكون سبب عزاء لهم . وقد كرر عبارة (المعزى) أكثر من مرة . فقال لهم : « لأنه إن لم أنطلق ، لا يأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله لكم » (يو١٦ : ٧) ، لذلك :

« أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق » (يو١٦ : ٧) .

« وأما المعزى الروح القدس الذى يرسله الآب بإسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، و يذكركم بكل ما قلته لكم » (يو١٤ : ٢٦) « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً » (يو١٥ : ٢٦) « ومتى جاء ذاك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يو١٦ : ١٣) .

وأضاف الرب فى تعزيته لتلاميذه ، بأن هذا الروح المعزى سيمكث معهم إلى الأبد ، وسيكون فيهم (يو١٤ : ١٦، ١٧) .

هذا يذكرنا أيضاً بما قاله لهم قبيل الصعود « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨)... كان الحديث عن الروح القدس تعزية كبيرة للتلاميذ...

نلاحظ فى وداع المسيح لتلاميذه إنه كان صريحاً معهم

أراد أن يعزيهم على أساس الحق والواقع ، و يقوى قلوبهم ولكن بدون اخفاء الحقائق ، كما كان صريحاً معهم من جهة أخطائهم ومن جهة

المتاعب التى ستصادفهم ، بعد صلبه .

كان هذا نافعاً لهم من جهة الإيمان ، واتقاء المفاجأة .

قال لهم « أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » (يو١٣: ١٩) (يو١٤: ٢٩) « كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة ، تذكرونى أنى قلته لكم » (يو١٦: ٤) .

كان صريحاً معهم فى ذكر ما سيصدر عنهم من أخطاء .

قال لهم إن الشيطان مزمع أن يغربلكم ، وإنكم كلكم تشكون فىَّ فى هذه الليلة ، وقال تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى . وقال لبطرس ستنكرنى ثلاث مرات . وحتى يهوذا قدم له الرب تحذيرات . فقال واحد منكم سيسلمنى ، وحدد ذلك بقوله الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، وقال له موبخاً « ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة (يو١٣: ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧) .

وكان صريحاً معهم فى ذكر المتاعب التى سيتعرضون لها .

فقال لهم « إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم » « إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم » « لأنكم لستم من العالم... لذلك يبغضكم العالم » (يو١٥: ١٨-٢٠) بل قال لهم أكثر من هذا « سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو١٦: ٢) . حقاً إن الصراحة فى هذه الأمور أفضل . لذلك قال لهم فى هذا المجال « قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا .

إن السيد المسيح واضح فى هذا الأمر منذ البداية ، منذ حديثه عن الباب الضيق وعن حمل الصليب . ولكنه أيضاً يخلط الحديث عن الضيقة بالعزاء ، فيقول لهم « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو١٦ : ٢٣) . ومادام قوتى معكم ستغلبونه ...

نلاحظ فى هذه الجلسة الوداعية ، إنه أعطاهم وعوداً كثيرة :

بعضها من جهة ظهوره لهم مثل « أنا آتى إليكم » « بعد قليل ترونى » « أعد لكم مكاناً ... آتى وآخذكم إلىَّ ... » ... ووعود أخرى من جهة أرساله الروح القدس إليهم ، وعمل هذا الروح فيهم ومكوثه معهم إلى الأبد ... وأيضاً وعود أخرى من جهة طلباتهم ، فقال لهم « كل ما طلبتم من الآب بإسمى يعطيكم » « أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يو١٦ : ٢٣ ، ٢٤) « مهما سألتم بإسمى ، فذلك أفعله ... إن سألتم شيئاً بإسمى فإنى أفعله » (يو١٤ : ١٣ ، ١٤) .

ولعل من الوعود المعز ية جداً ، والعجيبة أيضاً ، قوله لهم : « الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بى ، فالأعمال التى أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، و يعمل أعظم منها » (يو١٤ : ١٢) .

وفى جلسته الوداعية معهم ، زودهم بوصايا .

فمن جهة علاقتهم ببعضهم البعض ، أعطاهم وصية واحدة لا غير وهى « هذه هى وصيتى ، أن تحبوا بعضكم بعضاً » . وإلى أى حد يارب يكون هذا الحب ؟ فيكمل وصيته قائلاً : « ... أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما

أحببتكم » (يو١٥ : ١٢) . ومن يستطيع هذا ، أن نحب بنفس الحب الذى أحببتنا به ، حتى بذلت ذاتك عنا ، الحب الذى قيل فيه « ... أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم إلى المنتهى » (يو١٣ : ١) .

ولكن الرب يكرر نفس الوصية ، فى نفس الجلسة الوداعية : « وصية جديدة أنا أعطيكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (يو١٣ : ٣٤) و يعتبر الرب أن هذه المحبة التى مثل محبته ، علامة التلمذة له ، فيقول « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب ، بعضكم لبعض » (يو١٣ : ٣٥) .

إنه مستوى سامى جداً من الحب ، يطلبه الرب منا .

نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا هو . وكيف أحبنا هو؟ يعمق الرب مفهومنا لهذا الحب ، فيقول « كما أحبنى الآب ، كذلك أحببتكم أنا . أثبتوا فى محبتى » (يو١٥ : ٩) . أصارحك يارب أن الأمر قد إزداد صعوبة فى الفهم ، أو صعوبة فى التنفيذ . وهنا نعرض وصية المحبة كما أعطيت لنا ، فى ثلاث نقاط :

أ ـ الآب أحب الإبن (وهى محبة غير محدودة بلا شك) .

ب ـ والإبن أحبنا ، بنفس المحبة (غير المحدودة) التى أحبه بها الآب .

جـ ـ والمطلوب أن نحب بعضنا بعضاً بهذا الحب .

ها مطانية يارب أمامك . أعترف أننا لم نصل ولن نصل مطلقاً إلى مستوى هذا الحب . حقاً إنها وصية جديدة .

جديدة فى مفهومها ، وجديدة فى مستواها ، وجديدة فى هذا التشبيه الذى شبهت به ... إننا مهما أحببنا ، ومهما بذلنا ، فلن نصل إلى محبة الإبن لنا ، أو إلى محبة الآب للإبن.

لهذا نتضع أمامك ، ونطلب أن تسكب فينا هذا الحب من عندك ، من الروح القدس ، لأن الطاقة البشرية وحدها لا تستطيعه ... نحب بعضنا بعضاً ، كما أحببنا ! وكيف ذلك ؟

لقد أحب المسيح تلاميذه ، فى محبتهم له ، وفى ضعفاتهم .

كما أحبهم وهم يحبونه ، أحبهم أيضاً فى خوفهم وفى ضعفهم وفى هروبهم . قال لبطرس ستنكرنى ثلاث مرات . ولم يقل ذلك فى إنفعال ، ولا فى غضب ، إنما فى حب وإشفاق ، وهو يقول معها « طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » . إنه يحبنا فى سقطاتنا وضعفاتنا ، لكى يخلصنا من هذه السقطات والضعفات ... « فيما نحن خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (رو٥ : ٨) .

وفى البستان ، حينما تركوه وحده وناموا ، قابل أيضاً ضعفهم بإشفاق ، ونسب الضعف إلى الجسد فقط ، وقال عنهم « الروح نشيط ، أما الجسد فضعيف » (مت٢٦ : ٤١) « ناموا الآن واستريحوا » .

وسيأتى الوقت الذى أعطى فيه نشاطاً للروح والجسد معاً ...

أنتم الآن ضعفاء . هذا حق . لذلك لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى » (لو٢٤ : ٤٩) . وهذه القوة ستنالونها حين يحل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) .

أنا لا أحتقر الضعف ، إنما فى حبى أمنح القوة .

هذه محبتى لكم . فماذا ستكون محبتكم لى ؟

سأضرب لكم مثالاً لهذه المحبة « أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يو١٥ : ٥) . إذن نحبك يارب ، كما يحب الغصن كرمته ، إذ لا حياة له بدون الثبات فى الكرمة . إن إنفصل عنها يجف ويموت .

لذلك قال لهم الرب فى جلسته الوداعية « اثبتوا فى محبتى » « الذى يثبت فىَّ وأنا فيه ، هذا يأتى بثمر كثير » (يو١٥ : ٥) .

وماذا عن الذى لا يثبت ؟ قال الرب لهم « إن كان أحد لا يثبت فىَّ ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه و يطرحونه فى النار فيحترق » ولذلك « اثبتوا فىَّ ، وأنا فيكم » « اثبتوا فى محبتى » (يو١٥ : ٤ ، ٥) . ولعل التلاميذ يسألون :

كيف نستطيع يارب أن نحبك ، ونثبت فى محبتك .

يجيبهم الرب فى هذه الجلسة الوداعية « أن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى ، كما إنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته » (يو٥ : ١٠) . إذن فالمحبة ليست مجرد عاطفة ، ولا يليق بنا أن نحب بالكلام واللسان ... » (١يو٣ : ١٨) .

فمحبتنا للرب ، تظهر فى حفظنا لوصاياه ...

وهنا ذكر المسيح تلاميذه بوصاياه ، بكل ما سمعوه منه قبل ، لكى يعملوا به . ولكن ماذا يحدث إن نسوا ما قاله لهم ؟ لقد طمأنهم من جهة

هذا أيضاً . وقال لهم : سأرسل لكم الروح القدس المعزى . وذاك « يذكركم بكل ما قلته لكم » (يو١٤ : ٢٦) .

لقد إهتم المسيح بتلاميذه ، الذين ائتمنهم على نشر الإنجيل .

بذل كل الجهد لكى يثبتهم ، لأن فى ثباتهم ثباتاً للكنيسة كلها ، وثباتاً للإيمان الذى سيجاهد هؤلاء من أجله .

ومادام الأمر أمر الإيمان ، لذلك نرى أن المسيح فى هذه الجلسة الوداعية ، قد تكلم معهم فى أمور إيمانية .

فى جلسته معهم ، شمل حديثه أيضاً عقيدة الثالوث القدوس . فحدثهم عن الآب والروح القدس وعن ذاته ...

ذكرنا ما قاله لهم عن الروح القدس ، وعمله فيهم ، وحلوله عليهم ، ومكوثه معهم ، وإرشاده لهم ...

كذلك ما أكثر الحديث الذى قاله فى تلك الجلسة عن الآب « أنا ماضٍ إلى أبى » « من عند الآب خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأرجع إلى الآب » (يو١٦ : ٢٨) .

« المعزى الذى سيرسله الآب بإسمى » « الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى » (يو١٥ : ٢٦) (يو١٤ : ٢٦) . هاتان آيتان ، كل منها واضحة فى حديثها عن الثالوث القدوس .

أما عن علاقة الآب بالإبن ، فقال لهم :

« أنا فى الآب والآب فىَّ » « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو١٤: ٩-١١) . وكان قد قال لهم من قبل « أنا والآب واحد » (يو١٠: ٣٠) .

وقد كرر هذه المعلومات ، فى صلاته لأجلهم .

فقال للآب « احفظهم فى إسمك الذين أعطيتنى ، ليكونوا واحداً كما نحن » (يو١٧: ١١) . فأعلن هنا أنه والآب واحد ... وكرر هذا المعنى أيضاً فى صلاته فقال « ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد . أنا فيهم ، وأنت فىَّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد » (يو١٧: ٢٢، ٢٣) . وقال أيضاً « ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فىَّ ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يو١٧: ٢١) .

إنه يقدم لهم العقيدة فى كلامه ، وفى صلاته .

ثم يحدثهم عن الآب الذى يحبهم ...

فيقول « الذى يحبنى ، يحبه أبى ، وأُظهر له ذاتى » (يو١٤: ٢١) . « إن أحبنى أحد ، يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، وإليه نأتى ، وعنده نصنع منزلاً » (يو١٤: ٢٣) ... إنه يريد أن يربطهم بالآب ، فيحدثهم عن الآب ومحبته لهم . وهكذا يقول « تأتى ساعة ، حين لا أكلمكم بأمثال ، بل أخبركم عن الآب علانية ... لأن الآب نفسه يحبكم ، لأنكم قد أحببتمونى ، وآمنتم أنى من عند الآب خرجت » (يو١٦: ٢٥، ٢٧) .

وفى صلاته عنهم ، يريدهم أن يعرفوا الآب .

فيقول « أيها الآب ... مجد إبنك ... هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ، و يسوع المسيح الذى أرسلته » (يو١٧ : ١-٣) .

لقد عرف التلاميذ المسيح . ولكنه ير يد أن يعرفهم بالآب أيضاً ، و يعرفهم أن كل شيء هو من الآب . وقد نجح فى كل هذا ، إذ يقول فى صلاته لله الآب :

« أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم ... والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك » (يو١٧ : ٦، ٧) .

المسيح وهو ماض إلى الآب ، ير بط تلاميذه بالآب :

وهكذا يقول : أيها الآب البار ، إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك . وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتنى . وعرفتهم إسمك ، وسأعرفهم ، لكى يكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم .

وبهذا الحب ، طلب من الآب أن يحفظهم .

وهكذا قال فى صلاته « لست أنا بعد فى العالم . وأما هؤلاء فهم فى العالم ... إيها الآب القدوس ، أحفظهم فى إسمك ... لست أسألك أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشر ير » .

« حين كنت أنا معهم فى العالم ، كنت أحفظهم ... أما الآن فإنى آتى إليك » ... أحفظهم فى إسمك (يو١٧ : ١١-١٥) .

والمسيح يصلى أيضاً أن يكون معهم باستمرار :

فيقول « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذى أعطيتنى يكونون معى ، حيث أكون أنا » (يو١٧ : ٢٤) .

إنها عبارة مؤثرة ، تدل على مدى الحب العميق الذى فى قلب السيد المسيح من نحو تلاميذه...

حب المسيح لتلاميذه ، وحفظه لهم ، كان أمراً لازماً .

لأنه إن كان الشيطان قد بدأ يعمل ضدهم ، وأزمع أن يغربلهم ، فلابد من الناحية الأخرى أن يعمل المسيح لحفظهم... يقويهم و يعزيهم ، و يعدهم للتجربة المقبلة ، بحبه وحفظه ، و بكلامه معهم ، وصلاته لأجلهم...

وهذا الحب الذى فى قلبه نحوهم ، يشجعنا نحن .

يذكرنا بأننا لسنا وحدنا ، بل أنه معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، و يذكرنا بتعزياته الإلهية ، وأعداده لأولاده قبل الضيقة ، كما يذكرنا بمحبة الآب وحفظه لنا .

و يذكرنا أيضاً أن صلاة المسيح قد شملتنا كذلك بقوله :

« لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم » (يو١٧ : ٢٠) .

مبارك أنت يارب ، فى كل محبتك وحفظك .

نسألك أن تكون معنا ، كما كنت مع تلاميذك ورسلك القديسين ، بنفس الحب ، ونفس الحفظ ، ونفس الرعاية .

حقاً إن صلاتك قد حفظت التلاميذ . ومع أنهم ضعفوا بعض الشيء ، إلاَّ أن الإيمان بقى ثابتاً فيهم ، لم يتزعزع ...

وهذا الإيمان الذى فيهم وصل إلينا ، بكرازتهم ...

واستطاع هؤلاء يارب أن « يأتوا بثمر كثير » كما أوصيتهم (أع ١٥ : ٨) .

كل ذلك كان ببركة آلامك المقدسة ، وبمحبتك لتلاميذك وتثبيتك لهم فى يوم الخميس الكبير الذى غسلت فيه أرجلهم ، طهرتهم ، ومنحتهم جسدك ودمك ، وجلست إليهم تعزيهم وتقوى إيمانهم .

لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .







أيها القارئ العزيز ...

إن تأملنا معاً فى أحداث يوم الخميس الكبير ، تواجهنا ثلاثة أمور هى :

١ - غسل الرب لأرجل تلاميذه .

٢ - تأسيسه لسر الإفخارستيا .

٣ - اهتمامه بتلاميذه ، وخطابه الوداعى لهم ، وصلاته لأجلهم .

وعن تلك الأمور الثلاثة، أو عن معانيها الروحية ، يريد هذا الكتاب أن يتحدث إليك ...

تراه ماذا سيقول ؟

شنوده الثالث

